الفصل الرابع والأربعون

مجمل الحالة السياسية في جزيرة العرب عند ظهور الاسلام

استعرضنا في الفصول المتقدمة من هذا الكتاب حالة العرب السياسية قبل الاسلام على قدر ما أدّى اليه بحثنا ، وساعفتنا عليه الموارد . أما في هـذا الفصل وهو خاتمة فصول القسم السياسي ، فنستعرض حالة العرب السياسية في القرن السادس للميلاد بوجه عام .

والقرن السادس للميلاد ، فترة من الفترات المهمة في تأريخ البشرية ، فيه ظهرت أمارات الشيخوخة على الانبراطورية الساسانية التي شيدها (أردشير الأول) على أثر الثورة التي انـدلعت عام (٢٢٤ م) أو (٢٢٦ م) ، ثم لم تلبث ان انهارت في القرن السابع للميلاد بسرعة عجيبة ، وبأيد لم يحسب لوجودها حساب ، ومن مكان لم يكن له قبل ظهور الاسلام أثر ما فعالّ في السياسة العالمية . وفي هذا القرن أيضاً برزت الأمراض العديدة التي ألمّت بالقيصريـة ، والأملاك التي كانت خاضعة لها ، وهي أمراض لم تنج منها إلا ببتر بعض أطرافهـا في القرن التالي له . فخرجت من ردهة العمليات تئن من فاجعة الألم الذي حلّ بها ، ومن هول ما أصيبت به بذلك البتر .

وفي النصف الثاني من هذا القرن وُلدَ الرسول ، وبميلاد الرسول ظهر حدث تأريخي خطير للبشرية في النصف الأول من القرن السابع للميلاد ، يكفي ان أثره

قائم حتى الآن ، وانه سيقوم الى ما شاء الله ، وانه أوجد مفاهيم خلقية جديدة للبشرية ، وانه بشر برسالة قائمة على ان الدين لله ، وان الناس أمامه سواء ، لا فرق بين فرد وآخر وجنس وجنس ، ولا تمييز للون على آخر ، ثم لم يلبث ان انتشر بسرعة عجيبة لم ينتشر بمثلها دين من الأديان ، فقضى على إحدى الانبراطوريتين العظيمتين في عالم ذلك العهد ، واستأصل الأعضاء الثمينة من الانبراطورية الأخرى ، وأوجد من أشتات سكان جزيرة العرب أمة ، ومن قبائلها المتنازعة حكومة ذات سلطان ، وفاض على سداد الجزيرة ، وسقى ما وراءها من أرضين ، ثم وحد بين أقوام عديدين وجمعهم في صعيد دين الله .

وقد ابتلي هذا القرن والنصف الأول من القرن التالي له بأوبئة وبآفات وبمجاعات زادت في مشكلاته الكثيرة التي ورثها من القرون السابقة له ، ففيه انتشرت أوبئة ابتلعت بضع مئات من البشر في كل يوم من أيام انتشارها ، كانت كالعواصف تنتقل من مكان الى مكان مكتسحة من تجده أمامها من مساكين ، وتعود بين الحين والحين لتبتلع ما يسدّ حاجتها من البشر والحيوانات . وفيه مُني العالم بزلازل وبنقص كبير في الغلات أوجد قحطاً ومجاعةً وفقراً في كثير من الأقطار ، حتى اضطر كثير من الناس الى هجر الأماكن المنكوبة والارتحال عنها الى أماكن أخرى فيها النجاة والسلامة .

ولا ريب ان ظروفاً هذه حالتها ، لا بد ان تتولد منها مشكلات اجتماعية وسياسية واقتصادية للحكومات وللرعية ، فاختل الأمن خاصة في المناطق الواقعة تحت أقدام الجيوش ، فيوماً تكتسحها جيوش الفرس فتهدم كل ما تجده أمامها من قرى ومدن ، ويوماً تغزوها جيوش الروم فتستولي على ما تجده أمامها من حاصلات زراعية ومن أموال . وفي ظروف هذه شأنها لا بد ان يجد الخارجون على النظام والطامعون في الربح السهل الحرام فرصاً مواتية لا يفرّط فيها للكسب والظفر بما يرغبون فيه ، فتأثرت بذلك حالة سكان هذه الأرضين ، كما تعرضت التجارة للأخطار ، واضطر التجار الى سلوك طرق نائية ليكونوا بمأمن من شر قطاع الطرق وفسادهم . وترك أكثر الناس مزارعهم وقراهم فراراً من هذا الوضع الى المدن الكبيره البعيدة عن مواطن الغزو والأخطار ، فتحولت خيرة الأرضين الخصبة الى أرضين مجدبة ، نتيجة لهذه الهجرة ، ولتراكم الأتربة في شبكات

الري . ولكن هذا القرن لم يعدم مع ذلك حُكّاماً حاولوا جهد امكانهم إصلاح الخطأ ، وأناساً كان لهم حسّ وشعور بما وصلت اليه الحالة ، فنادوا بالإصلاح . ولكن صيحاتهم لم تكن ذات أثر خطير في قوم قلقين حائرين ، وليس في أيديهم زمام أمورهم ، وقد اعتراهم ذهول جعلهم لا يعرفون كيف يتصرفون . ثم ان الحمل كان ثقيلاً ، والأخطاء كثيرة ، والأمراض عديدة لا يقومها طبيب واحد أو أطباء معدودون .

لقد عزم (كسرى) الأول (٥٣١ — ٥٧٩ م) المعروف بـ (كسرى أنو شروان) ، على إصلاح الحال في مملكته ، فأمر بوضع دستور جديد للجباية يخفف عن كاهل الدافعين بعض الثقل ، وأمر باصلاح الأرض وتوزيعها على شعبه بالعدل وبالإنصاف بين الناس حتى عرف لذلك بالعادل ، واستعان بمستشارين حكماء كانوا يعظونه ويرشدونه بطريقة الحكم والأمثال والعظات الى كيفية سياسة الرعية وتدبير أمورها ، كما ولى النواحي الروحية عنايته كذلك ، فأعاد الزردشتية القديمة ، وقاوم الحركة المزدكية التي قام بها (مزدك) في عهد والده (قباذ الأول) (٤٨٣ — ٥٣١ م) (٤٨٨ — ٥٣١ م)[1] ، وهي حركة تدعو الى الغاء الملكية ، والى الإباحية ، والى القضاء على امتيازات النبلاء ورجال الدين على ما تقوله الموارد التأريخية العربية المستندة الى موارد (فهلوية) شجعها (قباذ) لما وجد فيها من مبادىء توافق سياسته الرامية الى مقاومة تلك الطبقات المتنفذة التي عارضت في انتقال العرش اليه ، والتي اجتمعت كلمتها برئاسة (موبذان موبذ) والعظماء على انزاله من عرشه ، لما بدا لهم من ازوراره عنهم ، وانحرافه عن الزردشتية الى تعاليم مزدك المناهضة للموابذة ولعظماء المملكة الذين كانوا يتمتعون في المملكة بنفوذ واسع حدّ من سلطان (شاهنشاه) .

ورسالة مزدك وتعاليمه ، غامضة ، لا نعلم من حقيقتها شيئاً ، فقد أبيدت كتبهم وطمست معالم دينهم في عهد (أنو شروان) ، ولم يبق منها إلا هذه النتف المدوّنة في الكتب العربية عن موارد (فهلوية) دُوّنت في أيام محنة المزدكية وبعدها . ويظهر من هذه النتف انها حركة دينية اجتماعية سياسية تدعو الى توزيع الثروات بين الناس بالتساوي . والى انتزاع الأموال والأرضين من الأغنياء لاعطائها

١ Ency., IV, P. 178.

للمقلّين ، حتّى من كان عنده جملة نساء تؤخذ منه لتعطى لغيره من المحتاجين ، فهي على هذا التعريف فكرة اشتراكية متطرفة عارضت النظم الاجتماعية القائمه ، وهددت الدين القائم ، وجرّأت العامة على تلك الطبقات ، كان الملك في حاجة اليها للإنتقام ممن عارضه فأيدها [1] .

هذا وحيث أننا قـد تعلمنا من التجارب التي تجري في الوقت الحاضر ومن دراستنا للموارد التأريخية القديمة ، ان ما يكتب عن قوم غضب الحاكمون عليهم لا يمكن ان يكون مرآة صافية يعبر عن وجه أولئك القوم وعن ملامحهم الحقيقية ، لذا فإننا لا نستطيع ان نقول ان ما وصل الينا عن المزدكية يمثل رأيها وعقيدتها تمام التمثيل ، إذ يجوز ان يكون منه ما هو مصنوع موضوع حمل عليهم ، وان رواة الأخبار قد غرفوا منه ، ودوّنوه على نحو ما وصل الينا في كتبهم . لذلك يجب الانتباه الى هذه الملاحظة .

وحمل عدل الملك الساساني وحلمه وتسامحه مع رعيته ومساعدته للخارجين على الكنيسة الرومية الرسمية (من الفلاسفة والمثقفين بالثقافة الإغريقية القديمة ممن كانوا هدفاً لهجمات الكنيسة الأرثوذكسية في الانبراطوريـة البيزنطية) على الهجرة الى المملكة الساسانية ، طامعين في عدل الملك وحمايته ، وفي بيأة تكون فيها الحريـة الفكرية مكفولة مضمونة ، لا ضغط فيها ولا إكراه . ولكنهم ما لبثوا ان وجدوا ان الزردشتية التي نصرها وأيدها (كسرى أنوشروان) ، وهي ديانة المملكة غير ملائمة للفلسفة ، وانهـا ليست أرحب صدراً من (الأرثوذكسية) ، وانهـم لم يكونوا على صواب بمجيئهم الى هـذه الأرض ، فرجوا من (ملك الملوك) الترفق بهم ، بالسماح لهم بالعودة الى بلادهم . فلما كانت الهدنة ، طلب (كسرى) من قيصر في سنة ٥٤٩ م إباحة العودة الى ديارهم والتلطف بهم والعفو عما بدر منهم من الذهاب الى مملكته [2] .

---

١ الطبري (٢/٨٧ وما بعدها) ،
Nöldeke, Geschichte der Perser, S., 455, A. Christensen, Le Regne du Roi Kawadh I et le Communisme Mazdakite In der Kongl. Danske, Vieden-skalernes Selskab., Copenhagen, 1935.

٢ H. G. Wells, The Outline of History, P. 564.

وكان مما فعله (كسرى أنو شروان) أن هاجم الامبراطورية البيزنطية وقيصرها في عهد (يوسطفيان) (يسطنيانوس) (جستنيان) (٥٢٧ – ٥٦٥ م) ، واشتبك معها في جملة حروب ، ووسع حدوده في الشرق ، وساعد الاحزاب المعارضة للروم ، وأرسل حملة الى اليمن بناء على طلب الأمراء المعارضين لحكم الحبشة عليها ، ساعـــدتهم في وضع خطة لازاحة الحبشة عنها . [1] والحبش هم حلفاء البيزنطيين واخوانهم في الدين وهم الذين حثّوا النجاشي على فتح اليمن بعد ان يئسوا من الاستيلاء عليها ومن الاستيلاء على الحجاز وبقية جزيرة العرب .

واتبع (كسرى الثاني) (٥٩٠ – ٦٢٨ م) المعروف بـ (كسرى أبرويز) ، وهو ابن (هرمز بن كسرى أنو شروان) ، خطوات جدّه وأسلافه الملوك الماضين في الحرب مع البيزنطيين ، فبلغ (خلقيدونية) ثلاث مرات ، واستولى على بلاد الشام ، ودخلت جيوشه القدس في سنة (٦١٤ م) . ثم استولى على مصر في سنة (٦١٩ م) ودوّخ بفتوحاته الروم الى أن عاجله ابنه بخلعه ، فاستراح الروم منه ، ثم لم يلبثوا أن استردوا من الفرس أكثر ما أخذوه منهم في تلك الحروب .

وقد اضعفت هـــذه الحروب المتوالية الحكومة الساسانية وآذت الشعوب التي خضعت لحكمها وأفقرتها ، وأثرت على الأمن الداخلي وعلى الأوضاع الاقتصادية والعمرانية تأثيراً كبيراً ولا سيما في البلاد التي صارت ساحة تعبئة وتلاحم جيوش ، وهي بلاد العراق . ولم يعـــد الانسان يأمن على حياته وعلى ماله ، وصار سواد الناس وكأنهم أبقار واجبها اعطاء الحليب وأداء الاعمال الأخرى للحكام ، والذبح للاستفادة من لحومها ومن جلودها وعظامها حينما تنتفي الحاجات الأخرى منها . وتأسد المرازبة وقادة الجيـــوش في الحكم ، حتى صار الحكم حكم عواطف وأهواء ومصالح ، و (انشاهنشاه) عاجز عن عمل كل شيء لأن (الشاهنشاهية) ، لم تعد متقيدة بالوراثة القديمة وبالآداب السلطانية ، بل صارت لمن يستعين بأصحاب العضلات وبمثيري الفتن والاضطرابات . أضف الى ذلك أن من بيده مفتاح الدفاع عن الدولة ، وهم الجنود ، والضباط الصغار ، شعروا أنهم يقاتلون لا في سبيل وطن ودين وعقيدة ، بل يقاتلون لأنهم يساقون الى القتال قسراً ، وهم في حالة سيئة ووراءهم عوائلهم لا تملك شيئـــاً ، وقد جيء بهم الى الجيش قسراً وعلى

---

١ الطبري (٢/٩٣ وما بعدها) .

طريقة (السخرة) . وهم يحاربون ولا سلاح لهم ، لأن الحكومة لا تملك سلاحاً ، ولا نظام لهم ، لأنهم لم يدربوا على القتال ولم يتعلّموا أصوله ، أجسامهم تقاتل ، وقلوبهم مشغولة في مصير أولادهم وزوجاتهم وبيوتهم ؛ وهم المعيلون لهم ، ليس لهم غيرهم من معين .

وحكومة هذا شأنها ، لا يمكن لها أن تحافظ على حدود طويلة مفتوحة سهلة تقيم عليها قبائل غازية ، تترقب الفرص لتجد فرصة تهتبلها لتغير فيها على الحضر ، فتنتزع منهم ما قد تقع أيديهم عليه من أي شيء . فصار الاعراب يغيرون على الحدود من كل مكان فيه نفوذ وجنود للساسانيين ، ولا سيما بعد معركة (ذي قار) التي منحتهم قوة معنوية عالية ، وعلمتهم مواطن الضعف عند الساسانيين . فلما جاء الاسلام من جزيرة العرب صاروا عوناً له في تقويض تلك الدولة ، ودالة ساعدته في تفهم مواطن الضعف فيها ، ومنها نفذ الاسلام الى ما وراء البحار ، وقوض الحكومة الضخمة بسرعة عجيبة وبمحاربين لم يكونوا قد عرفوا من قبل أساليب القتال المنظم ، ولا المعارك الضخمة التي صادفوها لأول مرة في حروبهم مع الساسانيين والبيزنطيين .

وقد طمعت القبائل في حكومة الحيرة أيضاً ، هذه الحكومة التي ظهر عليها الوهن كذلك . فأخذت تغير عليها وتتعرض لحدودها ، وتتحرش بقوافلها التي كان يرسلها ملوكها للإتجار في أسواق الحجاز واليمن . حتى صارت الطرق التي تسلكهـا خطرة غير آمنة ، لا يتمكن رجالها من المرور بها بسلام . ولم يستطع الساسانيون من مساعدتها وحمايتها ، لأن أوضاعهم الداخلية ، كانت كما ذكرتُ على غير ما يرام . وهذا مما زاد في تصميم القبائل على مهاجمة ملوك الحيرة وحدود الفرس في آن واحد . ولعل هذه الغارات ، كانت في جملة الأسباب التي حملت (كسرى) على القضاء على النعمان وعلى انهاء حكم (آل نصر) ، اما بسبب ما رآه (كسرى) من عدم تمكن الملك (النعمان) من تأديب القبائل ومن ضبط الطرق والأمن ؛ فارتأى استبداله بعربي آخر أو برجل قوي من قادة الجيوش الفرس . واما لظنه أو لما وصل الى علمه من خبر يفيد بأن النعمان قد أخذ يفاوض سادة القبائل الكبار لارضائهم وضمهم اليه . وفي هذا العمل تهديد لمصالح الفرس ومحاولة للابتعاد عنهم . فأراد لذلك القضاء عليه وعلى الأسرة الحاكمة ، قبل أن

يتمكن من الحصول على تأييـــد أولئك السادة الذين أدركوا نواحي الضعف في حكومة الساسانيين .

وهناك روايات يشمّ منها أن (النعمان) ، قال لسادات القبائل : (انما انا رجل منكم ، وانما ملكتُ وعززتُ بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم ... ليعلم أن العرب على غير ما ظن وحدث) . [1] وروايات تفيد أن (كسرى) انما قتل (النعمان) ، لأنه وسائر أسرته سايروا سادات القبـــائل وتواطئوا معهم على الساسانيين . [2] ولعل عجز ملوك الحيرة عن حماية قوافل الفرس الذاهبة الى اليمن والآيبة منها ، وعن حماية الطرق البرّية المهمة التي توصل العراق باليمن ، ثم عجز ملك الحيرة من منع الاعراب من الاغارة على حدود الساسانيين ، ثم اضطرار الملك (النعمان) على الاتصال بسادات القبـــائل لترضيتهم ولضمهم اليه لتأييده ولتقوية ملكه الضعيف ، الذي كان يهدده خصوم له . لعلّ هذه الأسباب وغيرها ، كانت في جملة العوامل التي حملت (كسرى) على القضاء على (النعمان) وعلى استبدال الأسرة الحاكمة بأسرة أخرى ، أو تسليم أمور الحيرة نهائياً الى قائد فارسي ، يحكمها حكماً عسكرياً . [3]

وقد نصب الفرسُ حاكماً منهم على الحيرة ، لكنه لم يتمكن من سد أبواب الحدود الطويلة وغلقها ، ومنع الاعراب من دخولها . لقد اجتازوها ثم جاوزوها الى مسافات بعيدة في الاسلام ، أوصلت العرب الى الصين والهند وتركستان الصينية . ذلك لأن الفرس كانوا منهوكي القوى في الداخل وفي الخـــارج ، وقد أتعبتهم الأوجاع ، بينما جاء العرب بايمان برسالة ، وبعزم وتصميم ، وباعتماد على النفس ، من أن النصر سيكون لهم حتماً . لقد بدأ هذا العزم قبل (ذي قار) ، ثم تجسم في (ذي قار) ، فكان نصر المعركة في هذا الموضع ، ناقوس النصر ، و (الهرمون)

---

١ ابن عبد ربه ، العقد (١٦٩/١) ،
M. J Kister, In Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol., VIII, Part : II, November 1965, P. 114.

٢ Rothstein, PP. 116, Kister, P. 115.

٣ Nöldeke, Geschichte der Perser, S. 332, Rothstein, S., 116, Levi Della Vida, In The Arab Heritage, P. 50, Brockelmann, History of the Islamic Peopl, P. 8, Kister, P. 114.

الذي بعث الحيوية في جسم القبائل ، فجعلها تشعر أن في استطاعتها أن تفعل شيئاً ، لو وحدت نفسها ، وعملت عملاً ايجابياً منتظماً ، بعد دراسة وتفكير ، وباعدت نفسها عن الهياج والحماس والكلام الكثير ، الذي يذهب بعد تكلمه مع الهواء .

ولم تكن مشكلات الروم أقل خطورة أو عدداً من مشكلات الساسانيين . لقد تمكنت النصرانية ، بعد عنت واضطهاد ومقاومة ، أن تكون ديانة رسمية للحكومة والشعب . وكان المأمول أن تتوحد بذلك صفوف الأمة ، غير أن التصدع الذي أصاب هذه الديانة لم يحقق لها ذلك الأمل ، فتدخلت المذهبية في السياسة ، في المذهبيّات . وتولدت من هذا التدخل مقاومة رسمية من الحكومة للمذاهب المعارضة ، واضطهاد لكل من يعارض مذهب القيصر . وظهرت كنيسة شرقية وكنيسة غربية ، وتجزأ النصارى الشرقيون الى شيع وفرق عُدّ بعضها خارجاً على تعاليم الحق والايمان ، هي في نظر (الأرثودكسية) مذاهب الحادية باطلة ، فعوملت كما عاملت وثنيةُ روما النصرانية حين ظهورها ، فحوربت بغير هوادة واضطر الكثير من المخالفين الى التكتم أو الهرب الى مواضع ليس للبيزنطيين عليها سلطان .

والحروب المتوالية التي شنها الفرس على البيزنطيين ، والبيزنطيون على الفرس ، وانقسام الإنبراطورية الى حكومتين : حكومة روما وحكومة القسطنطينية ، ثم مهاجمة الملوك والأقوام الساكنة في أوربة لهاتين الحكومتين من الشمال والغرب ، كل هذه انتجت مشكلات خطيرة للعالم الغربي عامة وللروم خاصة . وقد كان ازعاج الروم واقلاقهم ، مما يفيد بالطبع منافسيهم الفرس ويسرهم ، فكانوا يشجعون الثائرين ويتحالفون معهم لأن في ذلك قوة لهم ، كما كان الروم أنفسهم يشجعون الاحزاب المعارضة للفرس ويحرضونها على الثورة على الساسانيين والتمرد عليهم ، وعلى مهاجمة حدودهم نكاية بأعدائهم وللانتقام منهم حتى صارت الحروب بين الانبراطوريتين تقليداً موروثاً ، لا يتركها احد الطرفين الا اضطراراً ، ولا تعقد هدنة بينهما الا بدفع جزية تكون مقبولة لدى الطرف الغالب تغنيه عن المكاسب التي يتأملها من وراء الحرب . يدفعها المغلوب صاغراً بسبب الاحوال الحرجة التي هو فيها ، آملاً تحسن الموقف للانتقام من الخصم . فتأريخ الساسانيين والروم ، هو تأريخ هدن وحروب عادت الى بلاد الطرفين بأفدح الاضرار . وما الذي يكسبه الانسان من الحروب غير الضرر والدمار ؟

لقد وجد (كسرى أنوشروان) (٥٣١ ـ ٥٧٩ م) في انشغال (يوسطنيان) (جستنيان) (Justinian) (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) بالحروب في الجبهات الغربية فرصة مواتية للتوسع في المناطق الشرقية من الإنبراطوريـــة البيزنطية ، فتحلل من (الهدنة الأبدية) التي كانت قد عقدت بين الفرس والروم ، وهاجم الإنبراطورية منتحلاً أعذاراً واهيةً ، واشترك في قتال دمويّ مرّ بجيوش الروم . ولم يفلـــح مجيء القائد (بليزاريوس) (Belisarius) من الجبهات الايطاليـــة لايقاف تقدم الفرس ، فسقطت مدن الشأم وبلغت جيوش الفرس سواحل البحر المتوسط ، وبعد مفاوضات ومساومات طويلة تمكن الروم من شراء هدنة من الفرس أمدهـا خمس سنوات بشروط صعبة عسيرة ، وبدفع أموال كثيرة . ثم مُددت هذه الهدنة على أثر مفاوضات شاقة مع الفرس خمسين عاماً حيث عقد الصلح في سنة (٥٦١) أو (٥٦٢ م) . تعهد الروم لكسرى بدفع إتاوة سنوية عالية ، وتعهد الفرس في مقابل ذلك بعدم اضطهاد النصارى ، وبالسماح للروم في الإتجـــار في مملكتهم على شرط معاملة الروم لرعايا الفرس المعاملة التي يتلقاهـــا تجار الروم في أرض الساسانيين [1] .

و (يوسطنيان) معاصر (كسرى أنوشروان) شخصية فـــذة مثل شخصية معاصره ، ذو آراء في السياسة وفي الملك ، من رأيـــه ان الملك يجب ان يكون دليلاً وقدوةً ونبراساً للناس ، وانه لا يكون عظيماً شهيراً لحروبه ولكثرة ما يملكه من سلاح وجند ، إنما يكون عظيماً بقوته وبقدرته وبالقوانين التي يسنهـــا لشعبه للسير عليها ، تنظيماً للحياة . فالملك في نظره قائد في الحروب ومرشد في السلم ، حامٍ للقوانين ، منتصر على أعدائه . وكان من رأيه ان الله قـــد جعل الأباطرة ولاتهً على الأرض ، وأدلة للناس ، قوامين على الشريعة . ولذلك فإن من واجب كل انبراطور ان يقوم بأداء ما فرضه الله عليه بسنّ القوانين وتشريع الشرائع ، ليسير الناس عليها . ولما كانت القوانين التي سارت عليها الانبراطورية الرومانيـــة كثيرة جداً ، حتى صعب جمعهـــا وحفظها ، تطرق اليهـــا الخلل ، وتناقضت

A. A. Vasiliev, History of the Byzantine Empire, 1952, PP. 138, K. Guterbock, Byzanz und Persien in ihren Diplomatischen Volkerrechtlichen Beziehungen in Zeitalter Justinians, S, 57, 105, Bury, Later Roman Empire, II, PP. 120.

الأحكام . لذلك رأى ان من واجبه جمعها وتنسيقها وتهذيبها واصدارها في هيأة دستور انبراطوري يسير عليه قضاة الانبراطورية في تنفيذ الأحكام بين الناس ، وعهد بهذا العمل الشاق الى (تريبونيان) (Tribonian) من المشرعين المعروفين في أيامه[1] . فجمع هذا المشرع البارع القوانين في مدوّنات ، ورتبها في كتب وأبواب ، وصان بتدوينه هذا بعض القوانين البيزنطية والرومانية من الضياع ، وأورث المشرعين ذخيرة ثمينة من ذخائر البشرية في التشريع .

ويعد هذا العمل من الأعمال العظيمة في تأريخ التشريع ، ولم يكن (يوسطنيان) أول من فكر في جميع القوانين السابقة في مدوّنة ، ولكنه كان أول من أقدم على تنسيقها وجمع ما تشتت منها وتيسيرها للمشرعين ، وقد وحد بذلك قوانين الانبراطورية ، فَعُدَّ صنيعه هذا اصلاحاً كبيراً يدل على شعور الملك وتقديره للعدالة في مملكته . وقد أدخل معاصره (كسرى أنو شروان) اصلاحات على قوانين الجباية ، فعد القرن السادس من القرون المهمة في تأريخ التشريع . ولكن الذي يؤسفنا اننا لا نملك موارد تفصل اصلاحات (كسرى) وهل هي نتيجة شعور بضرورة ملحة وحاجة ، أو هي صدى للعمل الذي قام به (يوسطنيان) ، ثم أي مدى بلغته تلك الإصلاحات ؟

وفكرة اخضاع الانبراطورية لقانون واحد نابعة من أصل عام كان يدين به (يوسطنيان) ، يتلخص في دولة واحدة وقانون واحد وكنيسة واحدة . كان يوسطنيان يرى ان الدولة المنظمة هي الدولة التي يخضع فيها كل أحد لأوامر القيصر ، وان الكنيسة إنما هي سلاح ماض يعين الحكومة في تحقيق أهدافها ، لذلك سعى لجعلها تحت نفوذ الحكومة وفي خدمة أغراضها ، فتقرب الى رجال الدين ، وساعد على انشاء كنائس جديدة ، واستدعى الى عاصمته رؤساء الكنيسة (المنوفيزيتية) ((Monophysites) القائلين بالطبيعة الواحدة واليعاقبة وأتباع (آريوس) (Arians) وغيرهم من المعارضين لمباحثتهم ولعقد مناظرات بينهم وبين الكنيسة الرسمية للتقريب فيما بينهم وايجاد نوع من الاتفاق يخدم أهداف الملك المذكور . ولكن هذه المحاولة لم تنجح ، ومحاولات التوفيق لم تثمر ، ولتحقيق نظريته في الكنيسة الواحدة اضطهد أصحاب المذاهب المعارضة وكذلك اليهود .

---

1 Vasiliev, PP. 142.

واضطر بعضهم الى ترك الانبراطورية والهجرة الى مملكة الساسانيين والى المحلات التي ليس للحكومة عليها سلطان [1] .

وزادت نظريته المذكورة في الدولة وفي الكنيسة في حدة المشكلات التي ورثها من أسلافه وجاءت بنتائج معاكسة لما كان يريد منها . فمحاولة تقربه من (البابا) وتأييـــده له ، اصطدمت بفكرة كانت مسيطرة عليه ، هي ان علمه باللاهوت لا يقل عن علم رجال الدين به ، وان من حقه التدخـــل في أمور الكنائس وفي تسيير المجامع الكنيسية ، لتوحيد الكنائس واعادتها الى أصلهـــا ، فأزعج بذلك (البابا) ، وصار من أضداده ، وأزعج أصدقاءه ومعارضوه من رجال المذاهب الأخرى ، لأنه خالفهم ، وجاء بتفسيرات لم ترضي أي مذهب منها . واضطر أخيراً على الخضوع لعقيدته المهيمنة على عقله ، وهي ان ما يراه في الدين ، هو الصحيح ، وهو الحـــل الوسط للنزاع الكنسي ، وهو الأصلـــح للدولة . فخلق معارضين له . وأغلق (جامعـــة أثينا) ومدارس البحث ، واصدر أمـــراً بمنع الوثنيين وكل من ليس نصرانياً من الاشتغال في الدولة . وهكذا ولدت نظريته في (أنا الدولة) مشكلات خطيرة لدولته ولدولة من جاء بعده من قياصرة .

وكانت لدى الروم مثل هذه المشكلة التي كانت عند الفرس : مشكلة تهرب كبار الملاكين والمتنفذين من دفع الضرائب ، وزيادة نفوذهم وسلطانهم في الدولة . فعزم (يوسطنيان) على الحـــدّ من سلطانهـــم ، والتشديد في استيفاء الضرائب لمعالجة الوضع الحربي الناتج من قلة المال اللازم للانفاق على جيش كبير ، ممـــا اضطر الحكومة الى تقليص عدد الجنود . فأصدر أوامر عديدة بالتشديد في جمع الضرائب ، وباجراء الإصلاحات في الإدارة ، غير ان اصلاحاته هذه لم تنفذ ، إذ لم يكن في مقدور الحكومة تنفيذها لعدم وجود قوة لديها تمكنها من الحدّ من نفوذ المتنفذين ورجال أكفاء أقوياء يقومون بالتنفيذ .

واهتم (يوسطنيان) بأمر التجارة . والتجارة مورد رزق للدولة كبير ، ولا سيما مع الأقطار الشرقية ، فقد كانت بضائعها مرغوباً فيها في أوربة ومطلوبة ، تجني الحكومة منها أرباحاً كثيرة ، وفي مطلع قائمة هذه البضائع النفيسة الأموال

---

١ Vasiliev, PP. 150, Knecht, Die Religions Politik Kaiser Justinianus, S, 36.

التي ترد الى الانبراطورية من الصين والهند ، فقد كانت تلاقي اقبالاً كبيراً من أثرياء الانبراطورية ومن أثرياء انبراطورية روما الغربية وبقية أنحاء أوربة .

وأثمن بضاعة في قائمة البضائع الواردة من الصين مادة الحرير ، ولثمن الحرير الباهض حرص الصينيون على ألا يسمحوا لأي غريب كان ان ينقل معه البيض أو الديدان التي تتولد منه الى الخارج ، خشية المزاحمة والمنافسة التي تلحق بهم أفدح الأضرار . وتلي هذه المادة البضائع النفيسة الأخرى مثل العطور والقطن الوارد من الهند والتوابل وأمثالهـــا من المواد التي كان يعجب بها أصحاب الذوق في ذلك الزمن . كل هذه يشتريها تجار الروم ، وبعد ان تأخذ الدولة البيزنطية الضرائب المفروضة ، تسمح للتجار بالتصرف فيها وبيعها على بقية الأوربيين .

وأسعار هذه المواد عالية باهظة الى درجة كبيرة صارت مشكلة من مشكلات الدولة البيزنطية ، ولهذا كانت تتصل دوماً بالانبراطورية الساسانية لمحاولة الاتفاق على تحديد الأسعار ، وتعيين مقدار الضرائب ، وذلك بسبب ورود أكثرها من هذه الانبراطورية ، إذْ كان التجار يأتون بالأموال من أسواق الصين تنقلها القوافل التي تجتاز أرض الدولة الساسانية لتسلمها الى حدود الانبراطورية البيزنطية ، ومنها الى العاصمة لتوزع في الأسواق الأوربية .

هذا طريق . وهناك طريق آخر هو طريق البحر . يحمل تجار الصين أموالهم على سفن توصلها الى جزيرة (تبروبانة) (Taprobane) وهي جزيرة (سيلان) ثم تفرغ هناك ، فتُحمل في سفن تنقلها الى خليج البصرة ، ثم تحمل في سفن أخرى تمخر في دجلة والفرات الى حدود الروم .

ولما كانت علاقات الروم بالساسانيين غير مستقرة ، والحرب بين الانبراطوريتين متوالية صارت هذه التجارة معرضة للتوقف والإنقطاع طوال أيام الحروب ، وهي كثيرة ، فترتفع أسعارها هناك ، كما ان الساسانيين كانوا يزيدون في أسعار البيع وفي ضريبة المرور ، فتزيد هـذه في سعر التكليف ، ولهـــذا فكر (يوسطنيان) في التحرر من تحكم الساسانيين في مورد مهم من موارد رزقهـــم ، وذلك باستيراد

بضائع عن طريق البحر الأحمر ، وهو بعيد عن رقابة الساسانيين[1] .

والخطة التي اختطهـــا (يوسطنيان) لتحرير التجارة البيزنطيـــة من سيطرة الساسانيين عليها ، هي الإتصال بالأسواق الرئيسية المصدرة ، ونقل المشتريات الى الانبراطورية بالبحر الأحمر الذي كان يسيطر الروم على أعاليه . لقـــد كان ميناء (أيلة) في أيدي البيزنطيين ، وكان هذا الميناء موضعاً لتفريـــغ السفن الموسقة بالبضائع المرسلة من الهند الى فلسطين وبلاد الشأم ، كما كان ميـــناء (القلزم) (Clysma) في أيديهم كذلك ، تقصده السفن التي تريد ارسال حمولتها الى موانىء البحر المتوسط . أمـــا جزيرة (أيوتابة) (Iotabe) وهـــي جزيرة (تاران) (تيران) ، فقد كانت مركزاً مهماً لجباية الضرائب من السفن القادمة من الهند ، وكانت في أيدي بعض سادات القبائل ، فأمر (يوسطنيان) باقامة موظفي الجباية البيزنطيين بها ، ليقوموا بالجباية . وأما ما بعد هـــذه المنطقة حتى مضيق المندب والمحيط الهندي فلم يكن للبيزنطيين عليه نفوذ[2] .

ولتحقيق هذه الخطة ، كان عليه وجوب السيطرة على البحر الأحمر والدخول منه الى المحيط الهندي ، للوصول الى الهند وجزيرة (سيلان) . ولا يمكن تحقيق هذه الخطة إلا بعملين : عمل عسكري يعتمد على القوة ، وعمـــل سياسي يعتمد على التقرب الى الحبشة الذين كانوا قد استولوا على اليمن ، فصار مدخل البحر الأحمر : (مضيق باب المندب) بذلك في أيديهم . ثم بالتودد الى سادات القبائل العربية النازلة في العربية وفي باديـــة الشأم ، لضمهـــم الى صفوف البيزنطيين ، ولتحريضهم على الفرس ، وبذلك يلحق البيزنطيون ضرراً بالغاً بالفرس ويكون في استطاعتهم نقل التجارة نحو الغرب عن جزيرة العرب والبحر الأحمر الى أسواقهم بكل حرية وأمان .

أما العمل العسكري ، فلم يكن في وسع البيزنطيين القيام به في ذلك الوقت ، لعدم وجود قوات برية كبيرة كافية . لتتمكن من اجتياز العربية الغربية للوصول

١ Vasiliev, P. 163, Bulletin of the School of Oriental and African Studies University of London, Vol., XVI, Parts 3, 1954, P. 425.

٢ W. Heyd, Histoire du Commerce du Lavant au Moyen Age, I, 10, 1885, (1935 2 end.), Vasiliev, P. 167.

الى اليمن ، حيث الحبش هناك ، اخوان البيزنطيين في الدين . وقد علموا من التجارب السابقة ، أن الجوع والعطش يفتكان بالجيش فتكاً ، وان القبائل لا يمكن الاطمئنان اليها والوثوق بها أبداً ، لذلك تركوا هذا المشروع . فلم يبق أمامهم غير تنفيذه من ناحيـــة البحر ، وقد وجدوا ان هذا التنفيذ غـــير ممكن أيضاً ، لأن أسطولهم في البحر الأحمر لم يكن قوياً ، ولم يكن في استطاعته السيطرة عليه سيطرة تامة . فتركوه ، ولو الى حين ، مفضّلين عليه العمل السياسي .

أما العمل السياسي ، فقـــد تم بالاتصال بالحبش ، وقـــد كان ملكهم على النصرانية ، لذلك كان من الممكن جلبه الى البيزنطيين بالتودد اليه باسم الاخوّة في الدين . كما تم بالتقرب الى سادات القبائل المتنصرين ، والتودد اليهم باسم الدين ايضاً . وتم بارسال المبشرين الى جزيرة العرب ، وبتشجيعهم على المعيشة بـــين الأعراب وفي البوادي لتنصير سادات القبائل ، وللتأثير عليهم بذلك . وباقامـــة الكنائس وارسال المال وعمال البناء لبنائها باسلوب يؤثر في عقول الوثنيين ، فيجعلها تميل الى النصرانية ، ولتكون هذه المعابد معاهد تثقيف تثقف بالثقافة البيزنطية كما تفعل الدول الكبرى في هذه الأيام .

وأرســـل (يوسطنيان) — كما سبق ان بينا ذلك [1] — رسولاً عنـــه يدعي (يوليانوس) (جوليانس) (Julianus) الى النجاشي والى (السميفع أشوع) (Esimphanus) حاكم اليمن في ذلك العهـــد ، ليتودد اليهما ، وليطلب منهـــما باسم (العقيدة المشتركة) التي تجمعهم ان يكوّنا مع الروم جبهة واحدة في محاربة الساسانيين ، وان يقوما مع من ينضم اليهم من قبائل العرب بمهاجمتهم ، وحمل السفير الى (السميفع أشوع) رجاء آخر ، هو موافقته على تعيين رئيس عربي اسمه (Kaisos أي (قيس) عاملاً (فيلارخ) (Phylarch) على قبيلة عربية تدعى (معديني) (Maddeni) ، أي قبيلة (معد) ، ليشترك معه ومـــع عدد كبير من أفراد هذه القبيلة بمهاجمة الساسانيين .

وقد رجع السفير فرحـــاً مستبشراً بنجاح مهمته ، معتمـــداً على الوعود التي أخذها من العاهلين . غير أنهما لم يفعلا شيئاً ، ولم ينفذا شيئاً ما مما تعهدا بـــه

---

١ الجزء الثاني والثالث من هذا الكتاب .

للسفير ، فلم يغزوا الفرس ، ولم يعين (السميفع أشوع) (قيساً) (فيلارخاً) عاملاً على قبيلة معدّ .

وورد أيضاً ان القيصر جدّد في أيام (ابراموس) (Abramos) الذي نصب نفسه في مكان (Esimiphaeus) ، طلبه ورجائه في محاربة الفرس ، فوافق على ذلك وأغار عليهم ، غير انه تراجع بسرعة[1] .

ويظهر ان اتصال البيزنطيين بـ (ابراموس) (Abramos) كان بعد القضاء على (السميفع أشوع) الذي لم يتمكن من مهاجمة الفرس إذْ كان من الصعب عليه اجتياز أرض واسعة بعيدة وطرق بعيدة تمرّ بصحارى وقفار لمحاربة أناس أقدر من رجاله على القتال[2] . فلما تمكن (ابراموس) من التحكم في شؤون اليمن ومن تنصيب نفسه حاكماً عاماً على اليمن وصارت الأمور بيديه تماماً ، فكر البيزنطيون في الاستفادة منه بتحريضه على الساسانيين ، وذلك باسم الأخوة في الدين .

وقد تحرش (ابراموس) بالفرس ، غير انه لم يستمر في تحرشه بهم . فما لبث ان كفّ قواته عنهم[3] . ولم يذكر المؤرخ (بروكوبيوس) كيف هاجم (ابراموز) الساسانيين ، ومن أين هاجمهم ومتى هاجمهم . لذلك أبقانا في جهل بأخبار هذا الهجوم .

و (ابراموس) هو (أبرهة) الذي تحدثت عنه في أثناء كلامي عن اليمن . أما ما أشار اليه (بروكوبيوس) من تحرشه بالفرس ومن تركه لهم بعد قليل ، فقد قصد به حملته على (مكة) على الغالب ، وهي حملة قصد بها (أبرهة) على ما يظهر الاتصال بالبيزنطيين عن طريق البر ، واخضاع العربية الغربية بذلك الى حكمه وهو من المؤيدين البيزنطيين . وبذلك تؤمن حرية الملاحة في البحر الأحمر ، ويكون في إمكان السفن البيزنطية السير به بكل حرية . ولعلّه كان يقصد بعد ذلك مهاجمة الفرس من البادية بتحريض القبائل المعادية للساسانيين عليهم ، وبتأليف حلف من قبائل يؤثر عليها فيهاجم بها الفرس .

١ Procoplus, I, XX, 1-13, ZDMG., (1881), S., 36

٢ Procoplus, I, XX, 9-13.

٣ Procoplus, I, XX, 9-13.

اما (Caisus) (Kaisos) ، فكان كما وصفه المؤرخ (بروكوبيوس) شجاعاً ذا شخصية قوية مؤثرة حازماً من أسرة سادت قبيلة (معدّ) . وقتل أحد ذوي قرابة (السميفع أشوع) (Esimiphaeus) (Esimaphaios) ، فتعادى بذلك معه ، حتى اضطر الى ترك دياره والهرب الى مناطق صحراوية نائية . [1] فأراد القيصر الشفاعة له لدى (Esimaphaios) ، والرجاء منه الموافقة على اقامته رئيساً (Phylarch) على قبيلته قبيلة معدّ .

ولا يعقـــل بالطبع توسط القيصر في هذا الموضوع ، لو لم يكن الرجل من أسرة مهمة عريقة ، لها عند قومها مكانة ومنزلة ، وعند القيصر أهمية وحظوة . ولشخصيته ومكانة أسرته أرسل رسوله الى حاكم اليمن لاقناعه بالموافقة على اقامته رئيساً على قومه . وبهذا يكتسب القيصر رئيساً قوياً وحليفاً شجاعاً يفيده في خططه السياسية الرامية الى بسط نفوذ الروم على العرب ، ومكافحة الساسانيين .

ونحن لا نعرف من أمر (قيس) هذا في روايات الاخباريين شيئاً غير أن هناك رواية لابن اسحاق جاء فيها أن أبرهة عين محمد بن خزاعي عاملاً له على مضر ، وأن (قيساً) كان يرافق أخاه محمداً حين كان في أرض كنانة . فلما قتل (محمد) ، فرّ الى (ابرهة) . [2] وقد ورد نسب (محمد) على هذه الصورة : (محمد بن خزاعي بن علقمة بن محارب بن مرّة بن هلال بن فالح ابن ذكوان السلمي) في بعض الروايات ، وذكر أنه كان في جيش أبرهـــة مع الفيل . [3]

فهل قيس هذا هو قيس الذي ذكره (بروكوبيوس) ؟ . اتصل مع اخيه محمد بأبرهة ، وصار من المقربين لديه ؟ أو هو رجل آخر لا علاقة له بـ (قيس) الذي يذكره (ابن اسحاق) ؟

وقد زار والد (نونوسوس) (Nonnosos) (قيساً) هذا مرتين ، وذلك قبل سنة (٥٣٠ م) وزاره (نونوسوس) نفسه في اثناء حكمه . وأرسل (قيس)

---

١ Procopius, I, XX, 9-13.

٢ Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol., XVI, Part : 3, 1954, PP. 434.

٣ المحبر (١٣٠) .

اينه (معاوية) الى (يوسطنيان) ، ثم أعطى أخاه ثم ابنه الامارة . وعينه القيصر عاملاً (Phylarch) على فلسطين . [1]

وكانت للقيصر (يوسطنيان) صداقة مع رئيس آخر اسمه (أبو كرب) (Abochorabus) ، يقع ملكه في أعالي الحجاز وفي المناطق الجنوبية من فلسطين . عرف هذا الرئيس بالحزم والعزم فخافه الأعداء ، واحترمه الأتباع ، واتسع لذلك ملكه ، وتوسع سلطانه حتى شمل مناطق واسعة ، ودخلت في تبعيته قبائل عديدة أخرى على القـــانون الطبيعي في البادية الذي يحتم دخول القبائل طوعاً وكرهاً في تبعية الرئيس القوي .

أراد هذا الرئيس أن يتقرب الى القيصر ، وأن يبالغ في تقربه اليه وفي اكرامه له ، فنزل له عن أرض ذات نخيل كثيرة ، عرفت عند الروم بـ (فوينيكون) (Phoinikon) (واحة النخيل) ، أو (غابة النخيل) . وهي أرض بعيدة . لا تبلغ الا بعد مسيرة عشرة أيام في أرض قفرة . فقبل القيصر هذه الهدية الرمزية ، اذ كان يعلم ، كما يقول المؤرخ (بروكوبيوس) عدم فائدتها له ، وأضافها الى أملاكه ، وعين هذا (الشيخ) عاملاً (فيلارخا) على عرب فلسطين . [2]

وقد قام ملك هذا الرئيس على ملك رئيس آخر كانت له صلات حسنة بالروم كذلك ، هو (امرؤ القيس) (Amorkesos) وكان (Amorkesos) في الأصل من عرب المناطق الخاضعة للفرس ، ثم هجر دياره لسبب لا نعرفه الى الأرضين الخاضعة لنفوذ الرومان ، وأخذ يغزو الاعراب ، حتى هابته القوافل ، فتوسع نفوذه ، وامتد الى العربية الصخرية ، واستولى على جزيرة (تاران) (Iotaba) وترك رجاله فيها يجبون له الجباية من السفن القادمة من الهند ، حتى حصل على ثروة كبيرة ، وعزم في سنة (٤٧٣ م) على ارسال الأسقف (بطرس) أسقف الاعراب التابعين له الى القسطنطينية ، ليتصل بالقيصر ، وليتوسط لديه هناك أن يوافق على تعيينـــه عاملاً (Phylarch) على الاعراب المقيمين في العربية الحجرية

١ Bulletin, Vol., XVI, Part : 3, P. 435, Muller, Fragmenta Historicorum, Graecorum IV, 179.

٢ Procoplus, I, XIX. 2-16, Bulletin, Vol., XVI, 1954, P. 428, Musil, Hegaz, P. 307.

والخاضعين لنفوذ الروم مقابل دخوله في حلف معهم ، فاستجاب القيصر (ليون) (Leo) الى طلب (بطرس) ، فأرسل دعوة الى (امرىء القيس) لزيارة القسطنطينية ، فذهب اليها بالرغم من وجود شرط في معاهدة الصلح التي كانت قد عقدت بين الفرس والروم لا يسمح بموجبه لعربي ما من سكنة المناطق الخاضعة لنفوذ الامبراطورية الساسانية بالذهاب الى مناطق الروم . ولما وصل الى القسطنطينية ، رحب به البيزنطيون ترحيباً جميلاً واستقبلوه استقبالاً حسناً . فأعلن هناك دخوله في النصرانية . وأغدق عليه القيصر الهدايا والألطاف ، ومنحه لقب (فيلارخ) (Phylarch) ، وثبته على المواضع التي أرادها وعلى جزيرة (تاران) (Iotaba) .[1]

وكان دخل البيزنطيون كثيراً من الضرائب التي يجبيها موظفو الكمارك المقيمون في جزيرة (تاران) (Iotaba) . وكان لهـــؤلاء الموظفين واجب آخر ، هو واجب مكافحة التهريب والقبض على كل مهرب يريد ادخال التجارة خلسة الى بلاد الشام أو مصر ، ومصادرة الاموال التي يحملهـــا معه . ولهم حق مكافأة المخبرين الذين يرشدونهم للقبض على المهربين .[2]

و (غابة النخيل) التي ذكرناها ، تجاور ارض قبيلة (معدّ) (Maddenol) ، وكانت معدّ خاضعة لحكم حمير . وقد رأينا كيف أن القيصر (يوسطنيان) توسط لدى (السميفع أشوع) ليوافق على تعيين (قيس) رئيساً على معدّ . وقد تمردت هذه القبيلة على (أبرهة) فسير اليها قوة لتأديبها ، كما يظهر ذلك من كتابة أمر (أبرهة) بكتابتها لهذه المناسبة : أدّبها بقوة ، سيرها اليها في شهر (ذو ثبّتن) من شهور فصل الربيع ، فانهزمت معد ، وأنزلت القوة بها خسائر فادحة . وبعد أن أدبت وخضعت ، اعترف (أبرهة) بحكم (عمرم بن مذرن) عليهـــا ، وتراجعت القوة عنها .[3]

و (عمرم بن مذرن) ، أي (عمرو بن المنذر) ، هو (عمرو بن المنذر) ملك الحيرة . وقد كانت (معدّ) في حكم ملوك الحيرة . وعلى هذا تكون هذه الغزوة (غزوتن) التي قام بها (أبرهة) على قبيلة (معد) موجهة الى (عمرو

---

1 Malchus of Philadelphia, (Muller Ed.), PP. 112, Musil, Hegaz P. 306

2 Bury, Later Roman Empire, Vol. II, P. 8, Runciman, P. 165

3 Le Museon, LXVI, 1953, 3-4 P. 277, Ryckmans, 506

ابن المنذر) حليف الفرس . بمعنى أنه تعرض لجماعة كانت في جانب الساسانيين . فهل الغزاة التي أشار اليها المؤرخ (بروكوبيوس) هي هذه الغزاة ؟

و (Maddenoi) هي قبيلة (معداية) (Ma'addaye) التي ذكرها (يوحنا الأفسوسي) (John of Ephesus) مع (طياية) (طيايا) (طيايه) (Tayaye) (Taiyaya) في كتابه الذي وجهه الى أسقف (بيت أرشام) (Beth Arsham) ، ويظهر من هذا الكتاب أنها كانت مقيمة في فلسطين .

وقد تحدثتُ سابقاً عن ورود اسم قبيلة (معدّ) في نص النمارة الذي يرجع عهده الى سنة (٣٢٨ م) حيث ورد أن (امرىء القيس بن عمرو) ملك العرب ملك على (معدّ) وعلى قبائل أخرى ذكرها النص ، منها أسد ونزار ومذحج . ويربط الاخباريون في العادة بين ملوك الحيرة وقبيلة معدّ ، وطالما ذكروا أن ملوك الحيرة غزوا بمعدّ ، مما يدل على وجود صلة تأريخية متينة بين الحيرة وهذه القبيلة المتبدية التي كانت تمعن في سكنها مع البادية .

ويظهر من روايات اهل الاخبار أنه قد كان للتبابعة شأن في تنصيب سادات على معدّ . فهي تذكر أنهم هم الذين كانوا يعينون أولئك السادة ، فينصّبونهم (ملوكاً) على معدّ . وذلك بسبب تنازع سادات معد فيما بينهم وتحاسدهم وعدم تسليم بعضهم لبعض بالزعامة . ولهذا كانوا يلجأوون الى التبابعة لتنصيب (ملوك) عليهم . يضاف الى ذلك أن معدّاً كانت قبـائل متبدية : منتشرة في أرضين واسعة تتصل باليمن ، وقد كان أهل اليمن المتحضرون أرقى منهم ، وجيوشهم أقوى وأنظم نسبياً من محاربي معدّ ومقاتليهم الذين كانوا يقاتلون قتال بدو ، لا يعرفون تنظيماً ولا تشكيلاً ولا توزيعاً للعمل . وكل ما عندهم هو كَرّ وفرّ ، اذا وجدوا خصمهم أشطر منهم وأقدر على القتال هربوا منه .

وقد منيت الانبراطورية البيزنطية بانتكاسات عديدة بعد وفاة (يوسطنيان) ، فاشتدّ الاضطهاد للمذاهب المخالفة للمذهب الارثودكسي ، وعادت الفوضى الى الحكومة بعد أن سعى القيصر الراحل في القضاء عليها ، وتجددت الحروب بين البيزنطيين والساسانيين ، وعاد الناس يقاسون الشدائد بعد فترة من الراحة لم تدم طويلاً . وبعد حروب متتالية دخل الساسانيون بلاد الشام . وفي سنة (٦١٤ م) ، احتل اتباع ديانة زرادشت عاصمة النصرانية القدس ، فأصيبت المدينة بخسائر كبيرة

في أبنيتها التأريخية وفي ثروتها الفينة التي لا تقدّر بثمن . ثم أصيبت الانبراطورية بنكبة عظيمة جداً هي استيلاء الفرس على مصر ، وبلوغ جيوش الساسانيين في هذه الأثناء الساحلَ المقابل للقسطنطينية عاصمة الانبراطورية [1] .

لقد وقعت هذه الأحداث ونزلت هذه الهزائم بالروم في وقت كان أمر الله قد نزل فيه على الرسول بلزوم ابلاغ رسالته للناس . والرسول إذ ذاك بمكة ، يدعو أهلهـا الى دين الله . فلما جـاء الخبر بظهور فارس على الروم ، فرح المشركون ، وكانوا يحبون ان يظهر أهل فارس على الروم لأنهم واياهم أهـل أوثان . وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لأنهم أهـل كتاب . فلقي المشركون أصحابَ النبي ، فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ، ونحن اميون . وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الكتاب ، وانكم إن قاتلتمونا لَنَظهرن عليكم ، فأنزل الله : (الم غُلبت الروم . في أدنى الأرض ، وهم من بعد غَلَبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ؛ ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) [2] . وفرح المسلمون بنزول هذه الآيات المقوية للعزيمة وأيقنوا ان النصر لا بد آت ، وانهم سينتصرون على أهل مكة أيضاً ويغلبونهم باذن الله . وخرج أبو بكر الى الكفّار (فقال : أفرحتم بظهور اخوانكم على اخواننا . فلا تفرحوا ولا يقرّنّ الله أعينكم ، فوالله لَيظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، فقام اليه أُبيّ بن خلف . فقال : كذبت يا أبا فضل . فقـال له أبو بكر ، رضي الله عنه : أنت أكذب يا عدوّ الله . فقال أناحبك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك ، فإن ظهرت الروم على فارس غرمت ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمت الى ثلاث سنين . ثم جاء أبو بكر الى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرت إنما البِضع مـا بين الثلاث الى التسع ، فزايده في الخطر ومادّه في الأجـل . فخرج أبو بكر فلقي أُبيّاً ، فقال : لعلك ندمت ؟ فقال لا . فقال : أزايدك في الخطر وأمادك في

---

١ Vasiliev, PP. 193.

٢ سورة الروم ، الآية ١ وما بعدها ، تفسير الطبري (١١/٢١ وما بعدها) ، تفسير القرطبي (١/١٤ وما بعدها) .

الأجل ، فاجعلها مائة قلوص لمائة قلوص الى تسع سنين . قال قد فعلت)[1] .

لقد وقعت هذه الهزائم الحربية الكبيرة في عهد القيصر (هرقل) (Heraclius) (٦١٠ — ٦٤١ م) . ففي عهده ، اقتطعت بلاد الشأم ومصر من جسم الانبراطورية ، وهي أعضاء رئيسية في ذلك الجسم . غير ان طالع هذا القيصر لم يلبث ان تحسن بعد سنين من النحس ، فاستعاد تلك الأملاك في المعارك التي نشبت بين سنة ٦٢٢ وسنة ٦٢٨ م . في هذه الفترة نال هرقل أعظم نصر له في ثلاث معارك كبيرة . ولكن نصره الأكبر جاءه يوم قتل (كسرى أبرويز) صاحب هذه الفتوحات بيد ابنه (شيرويه)[2] . فورد طائر السعد على القيصر بهذا الخبر المفرح ، ثم تحققت البشرى بالصلح الذي عقد بين القيصر وبين (شيرويه) . وفيه نزل الفرس عن كل ما غنموه ، ورضوا بالرجوع الى حدودهم القديمة قبل الفتح . فعادت الشأم وفلسطين ومصر الى البيزنطيين ، وأعيد الصليب المقدس الى موضعه في القدس في موكب حافل عظيم[3] .

وسُر المسلمون وهم بالمدينة بانتصار الروم على الفرس ، وزاد أملهم في قرب مجيء اليوم الذي ينتصر فيه المسلمون على المشركين ، وقويت عزيمتهم في التغلب على قريش . (وأسلم عند ذاك ناس كثير)[4] . وتضعضعت معنويات قريش ، وغلب (أبو بكر) أُبيّاً) على الرهان ، وكسبه ، أخذه من ورثته ، لأنه كان قد توفي من جرح أصيب به ، فلم يدرك زمن طرد من تعصب له من بلاد الشأم وخسارته الإبل التي تراهن عليها .

وشاء ربك ألا يكون النصر في هذه المرة لا للروم ولا للفرس ، بل للمسلمين . وشاء ألا يبقى الروم في بلاد الشأم إلا قليلاً ، إلا سنين ، إذ تهاوت مدن بلاد الشأم ثم مصر فشمال إفريقية ، الواحدة بعد الأخرى ، في أيدي أناس لم يخطر ببال الروم أبداً انهم سيكونون شيئاً ذا خطر في هذا العالم ، أعني بهم أبناء مكة ويثرب ومن تبعهم من أهل جزيرة العرب . تهاوت بسرعة عجيبة لا تكاد

---

١ تفسير الطبري (٢١/١٣) ، تفسير القرطبي (١٤/١ وما بعدها) .
٢ الطبري (٢/١٠٨ وما بعدها) .
٣ Vasiliev, P. 198.
٤ تفسير القرطبي (١٤/٢) .

تصدق ، وبطريقة تشبه المعجزات . وقد بدأ هذا الانهيار بكتاب يذكر أهل السِّيَر والاخبار ان الرسول أرسله الى (هرقل عظيم الروم) ، يدعوه فيه الى الاسلام ، فإن أبى وبقي على دينه فعليه تُبعته ، فلما لم يسلم ، جاءه الانذار ، قوات صغيرة لا تكاد تكون شيئاً بالنسبة الى جيوش الروم الضخمة ، أخذت تُمَهِّد الطريق لنشر الايمـــان في بلاد رفض حكامها الدخول فيه . طهرت الارض الموصلة الى الحدود من المخـــالفين ، ثم أخذت تتحرش ببلاد الشام ، ولم يأخذ الروم ذلك التحرش مأخذاً جدّياً ، اذ تصوّروه غزواً من غزو العرب المألوف يمكن القضاء عليه بتحريك عرب بلاد الشام من الغساسنة ومن لفّ لفهم عليهم ، أو بإرشاء رؤسائهم بالهدايا والمال وتنصيبهم ملوكاً على عرب بلاد الشام في موضع الغساسنة كما كانوا يفعلون مع القبائل القوية الكبيرة التي كانت تتحرش بالحدود ، وينتهي بذلك الغزو وتصفو الأمور .

ولم يعلم البيزنطيون أن المسلمين يختلفون عن الجاهليين ، يختلفون عنهم في أن لهم عقيدة ورسالة ، وأن من يسقط منهم يسقط شهيداً في سبيل إعلاء كلمة ربّه ، وله الجنة ، وأن من يعيش منهم وينجو فلن يركن الى الدعة والحياة الهادئة والرجوع الى البادية بل لا بد له من أحد أمرين : اما نصر حاسم ، واما موت شريف في سبيل الله ورسوله . وبقوا في جهلهم هذا الى أن نبهتهم الضربات العنيفة التي وقعت بينهم وبين العرب في (أجنادين) (Gabatha) وفي (اليرموك) (Hieromax) بأن المعـــارك التي وقعت ليست غزواً من الغزو المألوف ، بل خطة مهيأة لطرد الروم الذين لا يؤمنون برسالة الرسول من كل بلاد الشام وما ورائها من أرضين . وعندئذ جمعوا جموعهم ، وألفوا قلوب (العرب المستعربة ، أي العرب النصارى القاطنين في بلاد الشام ، بالمال وباسم الدين ، وجعلوهم معهم وتحت قيادتهم في جيوشهم الضخمة لمقابلة المسلمين الذين لم يعرفوا الحروب الكبيرة ، ذات العدد الضخم من المحاربين ، والاسلحة المتنوعة الحديثة ، بالنسبة الى اسلحتهم المكوّنة من سيوف وسهام ورماح وحجارة وخناجر . وهنا وقعت غلطة فنية حربية أخرى من الروم ، اذ قابلوا المسلمين بجيوش ضخمة ، يسيرها قوّاد كبار تعودوا الحرب بأساليبها النظامية وبالطرق المدرسية الموروثة عن الرومان ، وتزوّدوا بالخبرة الفنيـــة العالية التي كسبوها من حروبهم مع الفرس ومع الاوربيين ، فظنوا ان الحرب مع

المسلمين شيئاً بسيطاً ، بل ابسط من البسيط ، حتى أن كبار القادة وجدوا أن من المهانة الاهتمام بأمر أولئك البدو الغزاة ، فتركوا الأمر لمن دونهم في الدرجات يديرونهـا مع العرب ، الذين أظهروا ذكاءاً فطريـاً عظيماً في هذه الحروب ، بتجنبهم الالتحام بالجيوش ، اذ لا قبل لهم بمقاتلتها ، وباتخاذهم خطة المناوشات والكرّ والفرّ بقوات غير كبيرة العدد ، وبذلك تتوفر لهم السرعة في العمل ومباغتة الجيوش الضخمة من ورائها ومن مجنباتها ، وبغزو خاطف كالبرق يلقي الفزع في القلوب . وبذلك أفسدوا على الروم خطتهم بالهجوم على العرب ، بجيوش نظامية كبيرة مُدرّبة على القتال يكون في حكم المحال بالنسبة للعرب الوقوف أمامها لو أنهم حاربوهم حربهم ، ووقفوا أمامهم وجهاً لوجه . وبركون العرب الى هذه الخطة المبتكرة ، وبمعاملتهم من خضع لهم واستسلم لأمرهم معاملة حسنة ، وبتحريض (العرب المستعربة) ، (العرب المتنصّرة) ، وسكان بلاد الشام من غير الروم ، بل ومن الروم على الانضمام اليهم ، غلبوا البيزنطيين ، وحصلوا ما حصلوا عليه من أرضين .

وعند ظهور الاسلام كانت اليمن في حكم الساسانيين كما رأينا ، غير أن حكمهم لم يكن في الواقع حكماً تاماً فعليـاً ، بل كان حكماً شكلياً اسمياً ، محصوراً في صنعاء وما والاها . أما الاطراف والمدن الاخرى ، فكان الحكم فيها لسادات اليمن من حضر ومن أهل وبر . وهو حكم نسمّيه حكم (اصحاب الجاه والنفوذ) . وقد شاء بعض منهم أن يظهر نفسه بمظهر الملوك المنفردين بالحكم والسلطان والجاه ، فلقبوا أنفسهم بلقب (ملك) وحملـوه افتخاراً واعتزازاً ، ولم يكن أولئك الملوك ملوكاً بالمعنى المفهوم ، انما كانوا سادات ارض وقبائل ، تجمّلوا أنفسهم بالقاب الملك :

فقد نعتت كتب التواريـخ والسير سادات حمير في أيام الرسول : الحارث بن عبد كلال ، وشريـح بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، و (النعمان قيل ذي رعين وهمدان ومعافر) ، و (زرعة ذو يزن) (زرعة بن ذي يزن) بـ (ملوك حمير) ، وذكرت أنهم أرسلوا الى الرسول رسولاً يحمل اليه كتاباً منهم يخبرونه فيه باسلامهم ، وقد وصل اليه مقفله من تبوك ، ولقيه بالمدينة ، فكتب الرسول اليهم جوابه ، شرح لهم فيه ما لهم وما عليهم ، وما يجب عليه

مراعاته من أحكام . [1] ويذكر (ابن سعد) أن هذا الرسول هو (مالك بن مُرارة الرهاوي) (مالك بن مرة الرهاوي) ، وقد وصل المدينة في شهر رمضان سنة تسع ، وذلك بعد رجوعه من أرض الروم . [2]

ودوّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول أرسله الى (الحارث) و (مسروح) و (نعيم) أبناء (عبد كلال) من حمير . حمله اليهم (عياش ابن أبي ربيعة المخزومي) . وأوصاه بوصايا ليوصي بها أبناء (عبد كلال) ان أسلموا . منهـا أنهم اذا رطنوا (فقل ترجموا) ، حتى يفقه كلامهم . واذا أسلموا ، فليأخذ (قضبهم الثلاثة التي اذا حضروا بها سجدوا . وهي من الأثل قضيب ملمع ببياض وصفرة ، وقضيب ذو عجر كأنه خيزران ، والأسود البهيم كأنه من ساسم . ثم اخرجها فحرّقها بسوقهم . فذهب اليهم ووجدهم في دار . ذات ستور عظام على أبواب دور ثلاثة . فكشف الستر ودخل الباب الاوسط ، وانتهى الى قوم في قاعة الدار . ففعل بمثل ما أمره به الرسول . [3]

ويظهر من قوله : (فاذا رطنوا فقل ترجموا) ، أنهم لم يكونوا يحسنون عربية أهل مكة . وأنهم كانوا يتكلمون فيما بينهم بلهجاتهم الخاصة بهم . وأن معنى تحريق القضب الثلاثة ، هدم ما كان لهم من عزة وسلطان وتكبر على الرعية ، لأن الاسلام قد أمر باجتثات ذلك . وبأن يكون الحكم للرسول وحده . ولما كانت تلك القضب رمزاً للحكم والسلطان ، وقد جعل الاسلام الحكم للرسول وحده ، لهذا أمر الرسول بكسر تلك القضب ، وفي كسرها اشعار لهم بأن حكمهم القديم قد زال عنهم ، وأن الحكم الآن للرسول .

ويظهر من نص الكتاب الذي وجهه الرسول الى (زرعة بن ذي يزن) ، وفيه : (اما بعد ، فإن محمداً يشهد أن لا إلٰه الا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من اول حمير ، وقتلت

١ الطبري (٣/١٢٠ وما بعدها) (دار المعارف) ، ابن الأثير (٢/١٢١) ، ابن خلدون (٢/٥٢) (القسم الثاني) (الوفود) ، الطبري (٣/١٥٣ ، ١٥٦) ، البلاذري ، فتوح (٨١) ، (اليمن) ، (وشرح بن عبد كلال) ، (ونعمان فيل ذي يزن) ، (وزرعة ذي رعين) ، ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٤) ، نهاية الأرب (١٨/١١٨) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٥٦) .

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٣) .

المشركين .... الخ) ، [1] أن (زرعة) هذا كان رأس حمير ، والمطاع فيها ، ولهذا ارسل اليه رسولاً خاصاً به هو (مالك بن مرة الرهاوي) ، واستلم جواباً خاصاً من الرسول كتب باسمه ، ولم يذكر اسمه في الجواب الذي ارسله الى الباقين بصورة مشتركة .

وذكر (ابن سعد) أن رسول الله كتب كتاباً الى (بني عمرو) من حمير ، ولم يذكر من هم (بنو عمرو) ، وأشار الى أن في الكتاب : (وكتب خالد ابن سعيد بن العاصي) ، [2] ما يدل على أنه كان كاتب ذلك الكتاب . ويشير (ابن سعد) ايضاً الى ان الرسول ارسل (جرير بن عبد الله البجلي) الى (ذي الكلاع بن ناكور بن حبيب بن مالك بن حسان بن تبع) والى (ذي عمرو) ، يدعوهما الى الاسلام ، فأسلما وأسلمت (ضريبة بنت ابرهة بن الصباح) امرأة (ذي الكلاع) . وتوفي رسول الله ، وجرير عندهم ، فأخبره (ذو عمر) بوفاته . [3]

ويشير نسب (ذو الكلاع) المذكور الى انه من الأسرة التي كانت تحكم اليمن قبيل غزو الحبش لها . فهو من الأسر الشريفة الحميرية في اليمن . وقد عرف بـ (ذي الكلاع الأصغر) عند اهل الاخبار تمييزاً له عن (ذي الكلاع الأكبر) الذي هو في عرفهم (يزيد بن النعمان الحميري) من ولد (شهال بن وحاظة بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر) .

وأما صاحبنا (ذو الكلاع) الأصغر الذي راسله الرسول ، وأسلم . فهو أبو (شراحيل سميفع بن ناكور بن عمرو بن يعفر بن ذي الكلاع الأكبر) . قال اهل الأخبار : والتكلّع الحلف (وبه سُمّي ذو الكلاع الأصغر ، لأن حمير تكلّعوا على يده . أي تجمعوا ، الا قبيلتين : هوازن وحراز ، فانهما تكلعتا على ذي الكلاع الأكبر : يزيد بن النعمان) . [4]

وذكر نسب (ذو الكلاع الاصغر) على هذا الشكل : (سميع بن ناكور

---

١ الطبري (١٢١/٣ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/١) ، نهاية الأرب (١٦٨/١٨) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٢٦٥/٨ وما بعدها) .
٤ تاج العروس (٤٩٦/٥) ، (كلع) .

ابن عمرو بن يعفر بن يزيد بن النعمان الحميري) . و (يزيد) هذا هو (ذو الكلاع الأكبر) . وذكر ان (أبا شراحيل) هو الرئيس في قومه المطاع المتبوع ، أسلم في حياة النبي ، فكتب اليه النبي على يد جرير بن عبد الله البجلي كتاباً في التعاون على الأسود ومسيلمة وطليحة . وكان القائم بأمر معاوية في حرب صفين ، وقتل قبل انقضاء الحرب ، ففرح معاوية بموته ، وذلك انه بلغه ان (ذا الكلاع) ثبت عنده ان عليّاً بريء من دم عثمان ، وان معاوية لبّس عليهم ذلك ، فأراد التشتيت عليه فعاجلته منيته بصفين وذلك سنة سبع وثلاثين [1] .

ويكون (ذو الكلاع) الأصغر ، قد تزوج بنتاً من بنات أبرهة هي (ضريبة) [2] .

ونسب الى النابغة قوله :

أتانا بالنجاشة مجلبوها وكندة تحت راية ذي الكلاع

يريد تميماً وأسداً وطيّاً اجلبوا الجيش على بني عامر مع أبي يكسوم وذو الكلاع كان معه أيضاً [3] .

وذكر ان رسول الله كتب الى (معد يكرب بن أبرهة) ان له ما أسلم عليه من أرض خولان [4] . ولم يشر (ابن سعد) الى بقية اسم أبرهة أو الى شهرته ، لذلك لا ندري إذا كان قصد (أبرهة) المعروف ، أم شخصاً آخر اسمه (أبرهة) . ولكننا نعرف اسم قيل عرف بـ (معد يكرب) اسم والده (أبو مرة الفياض) ذو يزن ، كان متزوجاً من (ريحانة) ابنة (ذي جدن) ، فولدت له (معد يكرب) المذكور . ثم انتزعها منه (الأشرم) ، ونشأ (معد يكرب) مع أمه (ريحانة) في حجر (أبرهة) [5] ، فلعلّه نسب اليه ، لذلك قال له (ابن سعد) (معد يكرب بن أبرهة) .

وكان للفرس وللجيل الجديد الذي ظهر في اليمن من تزاوجهم باليمانيين ، وهو

---

١ تاج العروس (٣٨٩/٥) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
٣ تاج العروس (٤٩٦/٥) .
٤ ابن سعد ، طبقات (٢٦٦/١) .
٥ الطبري (١٤٢/٢ وما بعدها) .

الجيل الذي عرف بـ (الأبناء) نفوذ كبير في اليمن ، وقد تحدثت عنه في الجزء السابق من هذا الكتاب . والى هذا الجيل أرسل الرسول (وبر بن يُحنس) ، يدعوه الى الإسلام ، فنزل على بنات (النعمان بن بزرج) فأسلمن ، وبعث الى فيروز الديلمي فأسلم ، والى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه . وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه [1] .

وقد كان الفرس الذين أقاموا باليمن مثل سائر الفرس على المجوسية ، ولما دخل أهل اليمن في الإسلام دخل بعض هؤلاء فيه . وأقام بعض آخر على دينه ، وفرض الرسول على من بقي على دينه جزية [2] . وقد نفر منهم بعض سادات اليمن من الأسر القديمة ، بسبب انهم غرباء عن اليمن ، جاؤوا الى اليمن فحكموها ، ولهذا انضم بعض منهم الى (الأسود) في ردّته . لأن (الأسود العنسي) ، كان كارهاً للأبناء ، حاقداً عليهم . يرى انهم عصابة دخيلة ، استأثرت بحكم اليمن [3] . وقد شاءت الأقدار ان تكون نهايته بأيديهم . إذ كان قاتله منهم فكأن قلبه كان يعلم بما سيفعلونه به ، ولهذا كرههم .

وكانت الأزد من القبائل المعروفة في اليمن ، وقد جاء وفد منهم الى الرسول على رأسه (صرد بن عبد الله) في بضعة عشر ، فأسلم ، وأمره ان يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين من قبائل اليمن ، وكان أول ما فعله انه حاصر (جرش) ، وكانت قد تحصنت وضوت اليها خثعم ، فلما وجد ان من العسير عليه فتحها بالقوة آوى الى جبل (كشر) ، فظن أهل جرش ، انه إنما ولى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى اذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً . ثم أسلم من نجا منهم . وحمى الرسول لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس ، وللراحلة ، وللمثيرة تثير الحرث ، فمن رعاها من الناس سوى ذلك فماله سحت [4] .

وكتب الرسول كتاباً الى (خالد بن ضماد الأزدي) ان له ما أسلم عليه من

---

١ الطبري (٣/١٥٨) .
٢ البلاذري ، فتوح (٨٣) .
٣ البلاذرى ، فتوح (١١٣ وما بعدها) .
٤ الطبرى (٣/١٣٠ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٧ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٨/٩٦ وما بعدها) .

أرضه ، وكان كاتب كتابه (أُبَيّ) [1] . وكتب مثل ذلك لجنادة الأزدي وقومه ، وكان كاتب هذا الكتاب (أُبَيّ) كذلك [2] . وكتب الرسول الى (أبي ظبيان الأزدي) من (غامد) يدعوه ويدعو قومه الى الإسلام . فأجابه في نفر من قومه بمكة . وكانت لأبي ظبيان صحبة ، وأدرك عمر بن الخطاب [3] .

وذكر ان (ضماد بن ثعلبة) الأزدي ، كان صديقاً للرسول في الجاهلية ، وكان يتطبب ويرقي من هذه الرياح ، ويطلب العلم ، فقدم مكة قبل الهجرة ، واجتمع بالرسول وكلّمه ، ثم أسلم . وهو من (أزد شنوءة) . [4]

ونجد (ابن سعد) يدوّن صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه لبارق من الأزد . نظم فيه حقوقهم مثل ان لا تُجذّ ثمارهم وان لا ترعى بلادهم في مربع ولا مصيف إلا بمسألة من بارق . وغير ذلك . وكتب الكتاب (أُبَيّ بن كعب) ، وشهد عليه أبو عبيدة بن الجراح وحذيفة بن اليمان [5] .

ويجاور الأزد من الشرق (خثعم) و (مذحج) و (مراد) و (همدان) و (بلحارث) ، ويجاورهم في غربهم (بنو كنانة) و (بنو عك) . وأما من الجنوب ، فتتصل ديارهم بديار (همدان) و (حمير) .

وتجمع بعد وفاة النبي قوم من الأزد وبجيلة وخثعم ، عليهم حميضة بن النعمان وذلك بـ (شنوءة) ، وعلى أهل الطائف (عثمان بن ربيعة) ، فبعث عليهم (عثمان بن أبي العاص) ، عامل النبي على الطائف بعثاً التقى بهم بشنوءة ، فهزموا تلك الجُمّاع ، وتفرقوا عن (حميضة) ، وهرب وفسدت ثورة هؤلاء المرتدين [6] .

وتمرد قومٌ من (خثعم) على (أبي بكر) حينما بلغهم نبأ وفاة الرسول وخرجوا غضباً الى (ذي الخلصة) يريدون إعادته ، فأمر (أبو بكر) (جرير

---

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٧) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٠) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٠) .
٤ نهاية الأرب (١٨/٧ وما بعدها) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٧) .
٦ الطبري (٣/٣٢٠) ، (دار المعارف) .

ابن عبـــد الله) ان يدعو من قومـــه من ثبت على أمـــر الله ، وان يستنفر (مُقويهم) ، فيقاتل بهم خثعم ، فنفذ أمره فتتبعهم وقتلهم وعاد الى الإسلام من تاب [1] . وكان الرسول قد بعث سنة تسع للهجرة (قطبة بن عامر بن حديدة) الى خثعم بناحية (تبالة) ، فتغلب عليهم [2] .

وبقيت (همدان) قبيلة قوية من قبائل اليمن ، وقد أسلمت كلها في يوم واحد ، أسلمت يوم مقدم (علي بن أبي طالب) الى اليمن على رأس سريـــة أمر الرسول بارسالها الى هناك . وقد فرح الرسول باسلامها ، وتتابع أهل اليمن على الاسلام [3] .

وقد كانت همدان بطون عديدة ، من بطونها (بنو ناعط) ، ومن رجالهم (حمرة ذو المشعار بن أيفع) ، وكان شريفاً في الجاهلية ، والظاهر انـــه كان صاحب موضع (المشعار) [4] . وهو (أبو ثور) . وقد وفد على الرسول ، ووفد معه (مالك بن نمط) و (مالك بن أيفع) ، و (ضمام بن مالك السلماني) ، و (عميرة بن مالك الحارفي) ، فلقوا رسول الله بعد مرجعه من تبوك ، وعليهم مقطعات الحبرات والعمائم المعدنية ، برحال المَبْس على المهرية والأرحبية [5] .

ويذكر أهل الأخبار . ان الوفد لما وصل المدينة ، ارتجز (مالك بن نمط) رجزاً ، ثم خطب بين يدي الرسول ، ذاكراً له ان نصيّة ، أي أخياراً أشرافاً من همدان ، يريد رجال الوفد ، قدمت الى الرسول ، وهي (من كل حاضر وباد) أي من أهل الحضر ومن أهل البادية ، ومن أهل مخلاف خارف ويام وشاكر ، ومن أهل الإبل والخيل ، قدموا اليه ، بعد ان عافوا الأصنام واعتنقوا الإســـلام . فأثنى الرسول عليهـــم ، وشكرهـــم وكتب لهم كتابـــاً ، وجهه (إلى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وحقاف الرمل مع وافدها ، ذي المشعار : مالك بن نمط ، ومن أسلم من قومه) ، ثم بين لهم ما عليهم وما لهم [6] .

١ الطبري (٣/٣٢٢) .
٢ نهاية الأرب (١٧/٣٥٠) .
٣ الطبري (٣/١٣١ وما بعدها) .
٤ الاشتقاق (ص ٢٥١) .
٥ نهاية الأرب (١٨/١٠ وما بعدها) .
٦ نهاية الأرب (١٨/١١ وما بعدها) .

وورد ان (قيس بن مالك بن سعد بن لأي الأرحبي) قدم على رسول الله وهو بمكة ، فعرض رسول الله عليه الإسلام فأسلم ، ثم خرج الى قومه فأسلموا بإسلامه ، ثم عاد الى الرسول فأخبره بإسلامهم ، فكتب له عهداً على قومه (همدان) . وذكر ان رجلاً مرّ بالرسول ، وهو من (أرحب) من (همدان) ، اسمه (عبد الله بن قيس بن أم غزال) ، فعرض عليه الرسول الإسلام ، فأسلم ، فلما عاد الى قومه قتله رجل من (بني زُبَيْد)[1] ، وجاء وفد آخر من (همدان) الى الرسول فأسلم على يديه ، وكان فيه (حمزة بن مالك) من (ذي مشعار) ، وكان على الوفد مقطعات الحبرة مكففة بالديباج ، فكتب الرسول لهم كتاباً ، وأوصاهم بقومهم من بقية بطون همدان[2] .

وورد ان الرسول كتب لـ (قيس بن مالك بن سعد الأرحبي) ، عهداً ثبته فيه على قومه (همدان : أحمورها وعربها وخلائطها ومواليها ان يسمعوا له ويطيعوا)[3] . وذكر ان الأحمور : قدم ، وآل ذي مران ، وآل ذي لعوة ، وأذواء همدان . وقيل : حمورها : أهل القرى . وأرى ان المراد بالأحمور هم بقايا حمير الناطقون بالحميرية وهم سكان القرى والمدن. ذُكروا وخصوا بالذكر ، لانهم اختلفوا عن غيرهم ممن كان يتكلم بلهجات أخرى ، ولهذا ميزوا عن (عربها) ، أي عرب همدان ، وهم الأعراب ، وعن الخلائط وهم الذين يكونون أخلاط الناس وعن الموالي . وذهب بعض الباحثين ، الى ان (عربها) بالغين ، أي (غربها) ويراد بهم : أرحب ، ونهم ، وشاكر ووداعة ، ويام ، وموهبة ، ودالان ، وخارف ، وعذر ، وحجور[4] .

وأما (بنو زُبَيْد) ، فكان على رأسهم (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) ، وكان قد قدم على الرسول في أناس من قومه ، ليعرض عليه الإسلام . فأسلم وأسلم من كان معه[5] . وقد نعت بالشجاعة فدعي بـ (فارس العرب)[6] ، وهو

---

١ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٠ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٨/٩ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٠ وما بعدها) .
٣ نهاية الأرب (١٨/٩) .
٤ الطبري (٣/١٣٢ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
٥ الاشتقاق (ص ٢٤٥) .
٦ الطبري (٣/١٣٤ وما بعدها) ، ابن سعد ، طبقات (١/٣٢٨) .

لقب يلقب بـه الشجعان الفرسان . وأقام في قومه من بني زُبَيْد . وعليهم (فروة بن مسيك المُرادي) ، الذي كان قد استعمله الرسول على مراد وزبيد ومذحج كلها : فلما توفي رسول الله ارتد عمرو بن معديكرب . ووثب (قيس بن عبد يغوث) على (فروة بن مسيك) ، وهو على مراد ، فأجلاه ونزل منزله [1] .

وكان (عمرو بن معديكرب) قد لقيّ (قيس بن مكشوح المرادي) حين انتهى اليه أمر رسول الله ، فعرض عليه ان يذهب معه الى رسول الله حتى يعلم علمه ، فإن كان نبيّاً ، فإنه لا يخفى أمره عليهم ، وإن كان غير ذلك علم علمه أيضاً وتركه ، فلم يأخذ (قيس) برأيه وسفّه فكرته . ثم أوعد (قيس) (عمرو بن معد يكرب) يوم سمع بذهابه الى الرسول وباعتناقه الإسلام . وقال : (خالفني وترك رأيي) [2] .

وكان (فروة بن مسيك المُرادي) من (بني مُراد) [3] . وقد عدّه (ابن حبيب) في جملة الجرارين ، أي الذين قادوا الفاً [4] . وقد كان مفارقاً لملوك كِندة ، ومعانداً لهم . وقد شهد يوم الرزم ، وهو يوم كان بين مراد قوم فروة وبين همدان ، انتصرت فيه همدان على مراد . وقد نسبوا شعراً لفروة ذكروا انه قاله يعتذر فيه عن الهزيمة التي أصابت مراداً في ذلك اليوم ، وكان الذي قاد همدان فيه (مراد الأجدع بن مالك) [5] .

ولما وصل (فروة) المدينة ، نزل على (سعد بن عبادة) ، وقد أكرمه الرسول ، واستعمله على مراد وزبيد ومذحج ، وبعث معه (خالد بن سعيد بن العاص) على الصدقات [6] .

والى بني الحارث بن كعب أرسل الرسول خالد بن الوليد يدعوهم الى الاسلام ،

---

١ الطبري (٣/١٨٥) .
٢ الطبري (٣/١٣٢ وما بعدها) ، (قدوم وفد زبيد) ، نهاية الأرب (١٨/٨٥) .
٣ الاشتقاق (ص ٢٤٦) .
٤ المحبر (ص ٢٥٢) .
٥ الطبري (٣/١٣٤ وما بعدها) ، (دار المعارف) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٣٢٧) ، نهاية الأرب (١٨/٨٤ وما بعدها) .

أو البقاء على دينهم وهو النصرانية مع دفع الجزية . فأسلم أكثرهم ، وذهب وفد منهم فيه (قيس بن الحصين بن يزيد بن قنان ذي الغصة) ، و (يزيد بن عبد المدان) ، و (يزيد بن المحجل) ، و (عبد الله بن قريظ الزيادي) ، و (شدّاد بن عبد الله القناني) ، و (عمرو بن عبد الله الضبابيّ) ، فقابل الرسول ، وكان السواد غالباً على لونهم ، فقال الرسول لما رآهم : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال من الهند ؟ . قيل : يا رسول الله ، هؤلاء بنو الحارث ابن كعب[1] . وأمر رسول الله (قيس بن الحصين) على (بني الحارث بن كعب) . كما زار الرسول (عبدة بن مسهر الحارثي) في المدينة ، وأسلم على يديه[2] .

وكتب الرسول لبني الضباب من (بني الحارث بن كعب) ان لهم ساربة ورافعها ، لا يُحاقّهم فيها أحد ما داموا مسلمين ، وكتب كتابهم هذا المغيرة[3] . وكتب لبني قنان بن وعلة من بني الحارث كتاباً ان لهم محبساً وانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم ، كتبه له المغيرة ايضاً . وأمر الرسول كاتبه : الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، ان يكتب لعبد يغوث بن وعلة الحارثي ، ان له ما أسلم عليه من أرضها وأشيائها ، أي نخلها ما دام يقوم بما يفرضه الاسلام عليه من واجبات . وكتب له (علي بن أبي طالب) ان لبني زياد بن الحارث جَمّاء وأذنبة . وأمر رسول الله المغيرة بن شعبة ان يكتب ليزيد بن المحجل الحارثي ، ان له ولقومه نمرة ومساقيها ووادي الرحمان من بين غابتها . وانه على قومه من (بني مالك) و (عقبة) لا يغزون ولا يحشرون[4] .

وأمر الرسول ان يكتب كتاباً لـ (قيس بن الحصين ذي الغصة) أمانة لبني أبيه بني الحارث ولبني نهد حلفاء بني الحارث ، يؤمنهم على أموالهم ما داموا مسلمين . وكتب كتاباً يشهد بإسلام (بني قنان بن يزيد) الحارثيين ، ويؤمنهم فيه ايضاً ان لهم مِذْوداً وسواقيه . وكتب مثل ذلك لعاصم بن الحارث الحارثي ،

١ الطبري (١٢٦/٣ وما بعدها) (دار المعارف بمصر) ، ابن سعد ، طبقات (٣٣٩/١ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٠/١) .
٣ ابن سعد (٢٦٧/١ وما بعدها) .
٤ ابن سعد (٢٦٨/١) .

ان له نجمة من راكس لا يُحاقّه فيها أحد[1] .

وكان (عوز بن سُرير الغافقي) في جملة من وفـد من (غافق) على الرسول ، كما كان فيهم (جليحة بن شجار بن صُحار الغافقي)[2] .

وقد آلم ولا شك خروج الحبش من اليمن البيزنطيين كثيراً ، وأصيبوا بخروجهم منها بخسارة من الوجهة العسكرية والاقتصادية ، غير ان مما خفف من هذه المصيبة ان الفرس لم يكن لديهم آنذاك أسطول قوي يستطيع الهيمنة على مضيق المندب ، مدخل البحر الأحمر ، بل ولا سفن كافية يكون في وسعها حماية سواحل اليمن والعربية الجنوبية . لذلك لم يهدد دخولهم اليمن السواحلَ الافريقية المقابلة لسواحل جزيرة العرب وهي مهمة بالنسبة للروم ، ثم انهم عوّضوا عن خسارتهم الكبيرة الفادحة التي نزلت بهم باحتلال الفرس لبلاد الشأم ، بطردهم الفرس واجلائهم عن كل الأرضين التي استولوا عليها وباعادتهم (الصليب المقدس) الى مكانه . فرفعوا بذلك من معنوياتهم في الشرق الأوسط وفي افريقية .

وقد سُرَّ اليهود من خروج الحبش من اليمن ومن استيلاء الفرس عليهـا . إذْ صاروا في حكم حكومة لا تحقد عليهم ، حكومة لا يهمها أمر اليهود لعدم وجود علاقة لها بها . بل ربما ساعدتها لأنها تناهض الروم ، على عكس النصرانية التي كانت قد وجدت في الحبشة نصيراً ومساعداً ، لذلك قلَّ أتباعها وانحسروا تدريجياً ، وبقيت متمركزة بمدينة نجران .

ولنجران وضع خاص . فقد تمتعت باستقلال ذاتي في الغالب . وقد تحرشتُ بتأريخها في مواضع متعددة من هذا الكتاب وبحسب المناسبات . ولما استولى الفرس على اليمن لم تدخل في طاعتهم ولم تخضع لحكم (عاملهم) ، بـل أخذت تدير شؤونها بنفسها وبمجلس تنفيذي حصر أمور البلد في أيدي سادات ثلاثـة اختص أحدهم بالحكم المدني ، واختص ثانيهم بالنظر في أمور الدين ، واختص الثالث في شؤون الأمن والدفاع عن المدينة . وقد عرفوا بالعاقب والسيد والأسقف . وقد قدموا على الرسول وباهلوه ؛ وكتب لهـم كتاب الصلح وذلك سـنة عشر للهجرة .

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٨) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٥٢) .

واشترط عليهم في جملة ما اشترطه فيه ، ان لا يأكلوا الربا ولا يتعاملوا به [1] وكتب الكتاب : المغيرة [2] .

وذكر ان الوفد الذي خرج الى الرسول من نجران كان مؤلفاً من أربعة عشر رجلاً من أشرافهم نصارى . فيهم : العاقب ، وهو عبد المسيح ، رجل من كندة ، وأبو الحارث بن علقمة ، رجل من بني ربيعة ، والسيد وأوس إبنا الحارث ، وزيد بن قيس ، وشيبة ، وخويلد ، وخالد ، وعمرو ، وعبيد الله ، وفيهم ثلاثة نفر يتولون أمورهم ، والعاقب ، وهو أسقفهم وحبرهم وإمامهم وصاحب مدارسهم ، والسيد ، وهو صاحب رحلهم . فتقدمهم (كرز) أخو (أبو الحارث) ، ثم قدم الوفد بعده ، فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة ، وأردية مكفوفة بالحرير ، ثم كلّموا الرسول ، وصالحهم على شروط ، ثم عادوا الى ديارهم ، ثم عاد السيد والعاقب الى المدينة فأسلما ، وبقي الآخرون على دينهم الى زمن (عمر) فأجلاهم ، لانهم أصابوا (الربا) وكثر بينهم . واشترى عقاراتهم وأموالهم ، فتفرقوا ، فنزل بعضهم الشأم ونزل بعضهم (النجرانية) بناحية الكوفة [3]

وكان الحكم في نجران لـ (بني الأفعى) ، ثم تحول الى (بني الحارث بن كعب) ، فلما ظهر الاسلام كان حُكامها من بني الحارث بن كعب . أما بنو الأفعى فكانوا كثرة فيها . غير ان الحكم لم يكن في أيديهم [4] .

ولما توفي رسول الله ، كان عامله (عمرو بن حزم) بنجران [5] . ولما قام (ذو الخمار عبهلة بن كعب) وهو (الأسود) ، بعامة مذحج على الاسلام في حياة الرسول وكان كاهناً شعباذاً ، يري الناس الأعاجيب ، ويسبي قلوب من سمع منطقه ، أخرج (عمرو بن حزم) من نجران ، واستولى عليها ثم سار

---

١ الطبري (٣/١٣٩) ، (دار المعارف) ، البلاذري ، فتوح (٧٥ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٦) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٥٨ وما بعدها) ، البلاذري ، فتوح (٧٧ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٨/١٢١ وما بعدها) .
٤ الطبري (٣ /٣٢١ وما بعدها) .
٥ الطبري (٣/١٣٠) .

(عبهلة) الى صنعاء فأخذها ، وأخذ يدعو الناس اليه ، حتى قضى عليه . [1] وأرسل الرسول قبل وفاته بقليل (وبر بن يُحنس) الى (فيروز) و (جُشيش الديلمي) و (داذويه الاصطخري) ، و (جرير بن عبد الله) الى (ذي الكلاع) و (ذي ظليم) ، و (الاقرع بن عبد الله الحميري) الى (ذي زود) و (ذي مران) وذلك للقضاء على (الاسود) وعلى من استجاب اليه ، فقتل . قتله : (فيروز الديلمي) و (قيس بن مكشوح المرادي) ، وعاد من ارتد واتبعه الى الاسلام ، ولم يكن الرسول قد فارق الدنيا بعد . [2]

وكان النبيّ حين وفاته قد نصب عمالاً على عمالات تمتد من مكة الى اليمن ، فكان على مكة وأرضها (عتاب بن أُسيْد) و (الطاهر بن أبي هالة) . عتاب على بني كنانة والطاهر على عك . وعلى (الطائف) وأرضها (عثمان بن أبي العاص) و (مالك بن عوف النصريّ) . (عثمان) على اهل المدر ومالك على أهل الوبر أعجاز هوازن . وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان بن حرب . عمرو بن حزم على الصلاة ، وأبو سفيان بن حرب على الصدقات ، وعلى ما بين (رمع) و (زبيد) الى حد (نجران) خالد بن سعيد بن العاص . وعلى همدان كلها (عامر بن شهر) ، وعلى (صنعاء) فيروز الديلمي يسانده داذويه وقيس بن المكشوح ، وعلى الجند يعلى بن امية ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري ، وعلى الأشعريين مع عك الطاهر بن ابي هالة ، ومعاذ بن جبل يعلم القوم ، يتنقل في عمل كل عامل . بقي الحال على هذا المنوال حتى نزا بهم الأسود الكذّاب . [3]

وورد في رواية اخرى ، ان رسول الله وجه (خالد بن سعيد بن العاص) أميراً الى صنعاء وأرضها ، وذكر انه ولى (المهاجر بن ابي امية بن المغيرة المخزومي) صنعاء ، فقبض وهو عليها . وقال آخرون انما ولى (المهاجر) (أبو بكر) ، وولى (خالد بن سعيد) مخاليف اعلى اليمن . وذكر ايضاً ، ان رسول الله ولى (المهاجر) كندة والصدف ، فلما قبض رسول الله ، كتب

١ الطبري (٣/١٨٥) ، (ثم دخلت سنة احدى عشرة) .
٢ الطبري (٣/١٨٧ ، ٢٢٧ وما بعدها) ، (بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي) .
٣ الطبري (٣/٣١٨ وما بعدها) .

ابو بكر الى (زياد بن لبيد البياضي) من الانصار بولاية كندة والصدف الى ما كان يتولى من حضرموت . وولى المهاجر (صنعاء) . والذي عليه الاجماع ان رسول الله ولى (زياد بن لبيد) حضرموت . [1]

ولما ارتد (قيس بن عبد يغوث المكشوح) ردته الثانية ، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش ، وكتب الى (ذي الكلاع) وأصحابه : (ان الأبناء نُزّاع في بلادكم ، وثقلاء فيكم ، وأن تتركوهم لن يزالوا عليكم ، وقد أرى من الرأي أن اقتل رؤوسهم ، وأخرجهم من بلادنا) ، كتب (ابو بكر) الى (عمير ذي مران) والى (سعيد ذو زود) والى (سميفع ذي الكلاع) والى (حوشب ذي ظلم) ، والى (شهر ذي يناف) ، يأمرهم بالتمسك بالاسلام ، وبمقاومة (قيس) والمرتدين . فكاتب (قيس) (تلك الفالة السيارة اللحجية ، وهم يصعدون في البلاد ويصوّبون ، محاربين لجميع من خالفهم) (وأمرهم ان يتعجلوا اليه ، وليكون امره وأمرهم واحداً ، وليجتمعوا على نفي الابناء من بلاد اليمن) ، فاستجابوا له ، ودنوا من صنعاء . وعمد الى الحيلة لقتل (فيروز) ، و (داذويه) ، و (جشيش) . وتمكن من (داذويه) ، فقتله . فأحسّ (فيروز) و (جشيش) بالمكيدة ، فهربا الى (خولان) ، وهم اخوال (فيروز) ، وامتنع (فيروز) بأخواله . فثار (قيس) بصنعاء ، وجمع (فيروز) من تمكن جمعه من الابناء ، وكتب الى (بني عقيل بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) والى (عك) يستنصرهم ويستمدهم على (قيس) . فساروا اليه ووثبت (عك) وعليهم (مسروق) ، وسار (فيروز) بهم نحو (قيس) ، فهرب في قومه والتحق بفلول (العنسي) التي تذبذبت بعد مقتله ، وسار فيما بين صنعاء ونجران . وانضم الى (عمرو بن معديكرب) . وكان (عمرو) قد فارق قومه (سعد العشيرة) في (بني زبيد) وأحلافها وانضم الى (العنسي) .

ولما ارسل (ابو بكر) مدداً الى من ارسله الى اليمن ، انضم اليه قوم من (مهرة) وسعد زيد والأزد وناجية وعبد القيس وحُدبان من بني مالك ، وقوم من العنبر والنخع ، وحمير ، واختلف (قيس) مع (عمرو بن معديكرب) ،

---

١ البلاذري ، فتوح (٨٠) .

وإنفلّ من كان معها وأخذا أسيرين الى ابي بكر ، فعفى عنهما . وانتهت بذلك ردة هذين المرتدين .[1]

ومن (بني خُشَين) (ابو ثعلبة الخشني) ، وقد وفد على الرسول وأسلم ووفد عليه نفر من (خشين) فنزلوا عليه وأسلموا وبايعوه ورجعوا الى قومهم .[2]

وكان من جملة وفود اهل اليمن الى الرسول ، وفد (بهراء) ، جاؤوا الى المدينة فأسلموا ، وقد نزلوا على (المقداد بن عمرو) .[3]

ومن قبائل اليمن قبائل (مذحج) ، وتقع منازلها جنوب منازل (خثعم) وفي شمال ديار (فهد) . ومن بطونها (الرهاويون) ، وهم حيّ من مذحج ، قدم وفد منهم على الرسول سنة (عشر) للهجرة فأسلموا . وقدم رجل منهم اسمه (عمرو بن سبيع) على الرسول فأسلم ، فعقد له رسول الله لواءً .[4]

وأرسل (النخع) رجلين منهم الى النبيّ : (ارطاة بن شراحيل بن كعب) من (بني حارثة بن مالك بن النخع) و (الجهيش) واسمه (الأرقم) من (بني بكر بن عوف بن النخع) فأسلما ، وعقد لأرطاة لواء على قومه ، وجاء وفد آخر من وفد النخع من اليمن سنة احدى عشرة ، وهم مائتا رجل ، وكان فيهم (زرارة بن عمرو) ، وقيل هو (زرارة بن قيس بن الحارث بن عداء) ، وكان نصرانيـــاً ، فأسلموا ، وبايعوا الرسول ، وكانوا قد بايعوا (معاذ بن جبل) باليمن .[5]

وقدم (جرير بن عبد الله البجلي) سنة عشر المدينةَ على رأس وفد من قومه (بجيلة) ، فأسلموا وبايعوا الرسول . وقدم وفد آخر منهم فيه (قيس بن عزرة الأحمسي) فأسلموا وعادوا الى ديارهم .[6]

---

١ الطبرى (٣/٣٢٣ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٢٩) ، نهاية الأرب (١٨/٢٣) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٤ وما بعدها) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣١) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٦) ، (زرارة بن فيس بن الحارث بن عدي بن الحارث ابن عوف) ، نهاية الأرب (١٨/١١٠) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٧) .

وجاء وفد (خثعم) وفيه (عثعث بن زحر) و (أنس بن مدرك) ، فأسلموا ، وكتب النبي لهم كتاباً . [1] وقد دوّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول كتبه لـ (خثعم) (من حاضر بيشة وباديتها) ، وأن الذي كتبه له وشهد عليه (جرير بن عبد الله) ومن حضر . [2] ودوّنَ (ابن سعد) صورة كتـــاب آخر ، أمر الرسول بكتابته لـ (مطرف بن الكاهن الباهلي) . جاء فيه : (هذا كتاب من محمد رسول الله لمطرف بن الكاهن ولمن سكن بيشة من باهلة) . [3] ويظهر منه أن (مطرفا) المذكور وقومه من باهلة كانوا يقيمون اذ ذاك بـ (بيشة) . ودوّن (ابن سعد) صورة كتـــاب آخر كتبه الرسول الى (نهشل بن مالك الوائلي) من (باهلة) . [4] ولم يذكر الكتاب مواضع منازلهم .

وكان من رجال (جُعْفى) الذين وفدوا على الرسول : (قيس بن سلمة ابن شراحيل) ، و (سلمة بن يزيد) ، فأسلما ، وأستأذنا الرسول بالعودة الى منازلها . فلما كانا في الطريق ، لقيا رجلاً من اصحاب رسول الله ، معه إبل من ابل الصدقة ، فطردا الابل ، واوثقا الراعي . ومن (جعفى) ، (ابو سبرة) ، وهو (يزيد بن مالك بن عبد الله الجعفي) وابناه (سبرة) و (عزيز) ، قدم بهما أبوهما على الرسول ، وأسلموا . [5]

وأما (تهامة) ، فكان بها عَكّ والأشعرون . وكانوا قد ارتدوا بعد سماعهم خبر وفاة الرسول ، ولكنهم غُلبوا على امرهم ، وعادوا الى الاسلام . [6]

ولما توفي الرسول ، كان اول منتقض بعد النبي بتهامة عَكّ والأشعرون ، وذلك انهم حين بلغهم موت النبي ، تجمعوا واقاموا على الاعلاب طريق الساحل . فسار عليهم (الطاهر بن ابي هالة) ومعه (مسروق المكّي) ، فهزمهم وقتلهم كل قِتْلَة ، وعرفت الجموع من عَكّ ومن تأشب اليهم : الأخابث ، وسُمّي

١ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٨) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٤) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٤) .
٥ نهاية الأرب (١٨/٨٣ وما بعدها) .
٦ الطبري (٣/٣٢٠ وما بعدها) .

الطريق الذي تجمعوا به (طريق الأخابث) . [1]

وجاء وفد من الأشعريين ، فيه (أبو موسى الاشعري) ، ومعه رجلان من (عكّ) قدم في سفن في البحر ، ثم نزلوا الساحل وذهبوا برّاً الى المدينة ، فرأوا الرسول وبايعوه . [2]

وأرسلت (جيشان) نفراً الى المدينة فيهم (ابو وهب الجيشاني) ، فأسلموا . [3]

وكان الحكم في حضرموت الى الاقيال كذلك . وفي ايام الرسول قدم عليه (وائل بن حجر) راغباً في الاسلام ، وكانت له مكانة كبيرة في بلده ، وقد نعته كتاب الرسول الذي كتبه اليه بـ (قيل حضرموت) . [4] وقد كان لكندة والسكاسك والسكون والصدف اثر كبير في تأريخ حضرموت في هذا العهد الذي نتحدث عنه .

وذكر (ابن سعد) ، ان الرسول كتب الى اقيال حضرموت ، وعظمائهم ، كتب الى (زرعة) و (فهد) و (البسّي) و (البحيري) و (عبد كلال) و (ربيعة) و (حجر) . [5]

وكانت كندة هي القبيلة المتنفذة بحضرموت ، كان (الاشعث بن قيس بن معديكرب الكندي) من رؤساء هذه القبيلة البارزين ، وقد مدح الأعشى (قيس ابن معديكرب) بقوله :

وجلنـــداء في عُمان مقيماً ثم قيساً في حضرموت المنيف [6]

وكان (الأشعث بن قيس) على رأس وفد كندة الذي وفد على الرسول سنة عشر ، فأسلم مع قومه على يديه . [7] وقد كان رجال الوفد قد رجّلوا جمعهم واكتحلوا ، ولبسوا جبـــاب الحبرة قد كفّوها بالحرير ، وعليهم الديباج ظاهر مخوص بالذهب ، فأمرهم الرسول بترك ذلك . فألقوه . [8]

---

١ الطبري (٣/٣٢٠ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٨) ، نهاية الأرب (١٨/٢٣) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٥٩) .
٤ ابن خلدون (٢/٥٦ وما بعدها) ، (القسم الثاني) ، (الوفود) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٣ وما بعدها) .
٦ ديوان الأعشى (القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥) .
٧ الطبرى (٣/١٣٨ وما بعدها) ، (قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة) ، نهايه الأرب (١٨/٨٧ وما بعدها) .
٨ ابن سعد ، طبقات (١/٣٢٨) .

وذكر (أبو عبيدة) ، ان (الأشعث بن قيس) لم يكن كِندياً ، وإنما صار في كندة بالولاء . وزعم ان والد (قيس) وهو (معـد يكرب) كان علجاً من أهل فارس إسكافاً اسمه (سيبخت بن ذكر) ، قطع البحر من توج الى حضرموت . وللفرزدق شعر في ذلك قاله في حق (عبـد الرحمن) حين خالف عبـد الملك بن مروان . كما زعم ان (وردة بنت معـد يكرب) عمة الأشعث كانت عنـد رجل من اليهود ، فماتت ولم تخلف ولداً ، فأتى الأشعث (عمر بن الخطاب) يطلب ميراثها ، فقال له عمر : لا ميراث لأهل ملتين[1] .

وقد عرف ملوك كندة الذين راسلهم الرسول بـ (بني معاوية)[2] ، وهـم الذين عرفوا بـ (بني معاوية الأكرمين) ، في شعر مدحوا به .

وكان مخوص (مخوس) ومشرح وجمد (حمدة) وأبضعة بنو معديكرب ابن وليعة بن شرحبيل بن معاوية من الرؤساء الملقبين بلقب ملك ، لأن كل واحد منهم قد اختص بواد ملكه ، ولقب نفسه بلقب ملك[3] . وقد نزلوا المحاجر ، وهي أحماء حموها ، وقد عرف هؤلاء بالملوك الأربعة من بني عمرو بن معاويـة وقد لعنهم النبيّ[4] . وعرفوا بـ (بني وليعة) ملوك حضرموت وقد جاؤوا الى الرسول مع وفد كندة فأسلموا[5] .

ووفد رئيس آخر من رؤساء حضرموت على الرسول اسمه (وائل بن حجر) ، ويظهر انـه كان ذا منزلة كبيرة عند قومه ، فلما وصل المدينـة أمر الرسول (معاوية بن أبي سفيان) باستقباله وبانزاله منزلاً خاصاً بـ (الحرة) ، وأمر بأن ينادى ليجتمع الناس : الصلاة جامعة ، سروراً بقدومه ، ولما أراد الشخوص الى بلاده كتب له الرسول كتاباً دعاه فيه بـ (قيل حضرموت) ، وذكر فيه انه جعل له في يديه من الأرضين والحصون . ولما أمر الرسول معاوية بأن ينزل (وائلاً) بالحرة ، مشى معاوية معه ووائل راكب ، فقال معاوية : الق إليّ

---

١ ابن رسته ، الأعلاق (٢٠٥) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٥) .
٣ البلدان (٣/٢٩٤) (حضرموت) ، ابن خلدون (٢/٥٦) ، (القسم الثاني) ، (الوفود) البلاذري ، فتوح (١٠٩) .
٤ ابن الاثير (٢/١٥٨ وما بعدها) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٩) .

نعليك أتوقّى بهما من الحرّ ، فقال له : لا يبلغ أهل اليمن ان سوقة لبس نعل ملك ، ولما قال له : فأردفني ، قال : لستَ من أرداف الملوك ، ولكن إن شئتَ قصرت عليك ناقتي فسرتَ في ظلها ، فأتى معاوية النبي ، فأنبأه بقوله ، فقال رسول الله : إن فيه لعُبّية من عُبّيةَ الجاهلية [1] .

وكان (الأشعث الكندي) وغيره من (كندة) نازعوا (وائل بن حجر) على وادٍ بحضرموت فادعوه عند رسول الله ، فكتب به رسول الله ، لوائل ابن حجر . بعد ان شهد له أقيال حمير وأقيال حضرموت . فكتب له بذلك ، وأقره على ما في يده من الأرضين [2] .

ومن قرى حضرموت : تريم ومشطة والنجير وتنعة وشبوة وذمار [3] .

وكان الرسول قد استعمل (المهاجر بن أبي أميـــة) على كندة والصدف و (زياد بن لبيد البياضي) من (بني بياضة) على حضرموت ، و (عكاشة ابن محصن) على (السكاسك) و (السكون) [4] . ولما توفي الرسول ، خرج (بنو عمرو بن معاوية) ، الى محاجرهم ، ونزل (الأشعث بن قيس الكندي) محجراً ، و (السمط بن الأسود) محجراً ، وطابقت (معاوية) كلها على منع الصدقة وأجمعوا على الردة ، إلا ما كان من (شرحبيل بن السمط) وابنه ، فإنهما خالفوهم في رأيهم ، فهجم المسلمون على المحاجر ، وقتلوا الملوك الأربعة . وساروا على (الأشعث) ومن انضم اليه من (كندة) ، والتقوا بمحجر الزرقان فهزمت كندة وعليهم الأشعث : فالتجأت الى حصن النجير ، ومعهم من استغووا من السكاسك وشذاذ من السكون وحضرموت والنجير ، فلحقتهم جيوش المسلمين ، ومنعت المدد عنهم ، وأخضعت من بقرى (بني هند) الى (برهوت) ، وأهل الساحل وأهل (محا) ، فخاف من بالحصن على نفسه ، واستسلم الأشعث وانتهت

---

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٧) .

٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤٩ وما بعدها) .

٣ المحبر (ص ١٨٥) .

٤ المحبر (ص ١٨٦ وما بعدها) ، الطبري (٣/٣٣٠) ، (ذكر خبر حضرموت في ردتهم) .

فتنته[1] . وأخذ الى المدينة ، فحقن (أبو بكر) دمه ، وزوّجه أخته ، ثم سار الى الشأم والعراق غازياً ومات بالكوفة[2] .

وكان (شرحبيل بن السمط) الكندي مقاوماً للأشعث بن قيس الكندي في الرئاسة ، وانتقل العداء الى الأولاد[3] .

وينسب (الصدف) الى الصدف بن مالك بن مرتع بن معاوية بن كندة) ، فهم إذن من كندة .

وذكر ان من سادات حضرموت في هـذا العهد : (ربيعة بن ذي مرحب الحضرمي) . وقد كتب اليه الرسول كتاباً أقره فيه وأقر أعمامه وإخوته وكل (آل ذي مرحب) على أرضهم وأموالهم ونحلهم ورقيقهم وآبارهم ونخلهم وشجرهم ومياههم وسواقيهم ونبتهم وشراجعهم وان (أموالهم وأنفسهم وزافر حائط الملك الذي كان يسيل الى آل قيس) هو لهم . وكتب الكتاب للرسول معاويـة بن أبي سفيان[4] .

وكان يتنازع على رئاسة مهرة رجلان منهم عند ظهور الاسلام ، أحدهمـا (شخريت) وهو مـن (بني شخراة) ، وكان بمكان من أرض مهرة يقال له : (جَيْرُوت) الى (نضدون) . وأما الآخر فبالنّجد . وقد انقادت مهرة جميعاً لصاحب هذا الجمع ، عليهم (المصبح) أحد بني محارب ، والناس كلهم معه ، إلا ما كان من شخريت ، فكانا مختلفين ، كل واحد من الرئيسين يدعو الآخر الى نفسه : وقد قتل (المصبح) في أثناء ردة مهرة ، أما شخريت الذي كان قد أسلم ثم ارتد ، فقد سلم على نفسه بعودته الى الاسلام ، وأرسل مـع الأخماس الى (أبي بكر)[5] .

ويذكر أهل الأخبار ان بعض رجال (مهرة) وفدوا على الرسول ، منهم (مَهْرى بن الأبيض) ، وقد كتب له الرسول كتاباً ، و (زهير بن قِرْضم

١ الطبري (٣/٣٣٢ وما بعدها) .
٢ البلاذري ، فتوح (١١٠) .
٣ البلاذري ، فتوح (١٤٣) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٦) .
٥ الطبري (٣/٣١٦ وما بعدها) ، (ذكر خبر مهرة بالنجد) .

ابن العُجيل بن قباث بن قومي) ، وقد أسلم ، وكتب له الرسول كتاباً حين هم بالانصراف الى قومه [1] .

ومن مواضع (مهرة) (رياض الروضة) ، بأقصى أرض اليمن من مهرة ، و (جيروت) و (ظهور الشحر) و (الصبرات) و (ينعب) و (ذات الحيم) [2] .

وأما عمان ، فكان المتنفذ والحاكم فيها (الجلندى بن المستكبر) ، وكان قد نصب نفسه ملكاً عليها ، ويفعل في ذلك فعل الملوك ، فيُعشّرُ التجار في سوق (دبا) و (سوق صحار) . وكانت سوق دبا من الأسواق المقصودة المشهورة ، يأتي اليها البائعون والمشترون من جزيرة العرب ومن خارجها ، فيأتيها تجار من السند والهند والصين [3] .

وورد في باب الرسل الذين أرسلهم رسول الله الى الملوك، انه أرسل (عمرو بن العاص) الى (جيفر بن جلندى) و (عباد بن جلندى) (عبيد) (جيفر بن جلندى بن عامر ابن جلندى) (عبدا) الأزديين صاحبي عمان [4] . مما يدل على انهما كانا هما الحاكمين على عمان في هذا الوقت . وتعني لفظة (جلنداء) الواردة في شعر الأعشى في مدح (قيس بن معد يكرب) (الجلندى) صاحب عمان [5] . وتذكر الروايات ان (جيفر) ، كان هو الملك منهما : وكان أسن من أخيه [6] .

وكان يُسامي (الجلندى) (ذو التاج) (لقيط بن مالك الأزدي) ، وقد ارتد وادعى بمثل ما ادعى من تنبأ : وغلب على عمان ، والتجأ (جيفر) و (عباد) الى الجبال . فأرسل (أبو بكر) اليهما مدداً ، فتغلبا عليه وعلى من

---

١ ابن سعد ، طبقات (٣٥٥١ وما بعدها) .
٢ الطبري (٣١٧/٣) .
٣ المحبر (ص ٢٦٥ وما بعدها) ، البلاذري (٨٧) ، (عمان) .
٤ الطبري (٦٤٥/٣) ، المحبر (ص ٧٧) ، الطبري (٣ /٢٩) (دار المعارف) .
٥ وجلنداء في عمان مقيما ثم قيسا في حضرموت المنيف
ديوان الأعشى (٣١٢) (طبعة الدكنور م. محمد حسين) ، القصيدة ٦٣ ، البيت ١٥ ، البلاذري ، فتوح (٨٧) ، ابن الأثير ، الكامل (٢٥٢/٢) ، تاج العروس (٣٢٣/٢) ، (جلد) .
٦ نهاية الأرب (١٦٧/١٨ وما بعدها) .

التف حوله[1] . ويظهر ان (لقيطاً) كان ينافس (آل الجلندى بن المستكبر) على السلطان ، وقد اعتصم (آل الجلندى) بالاسلام . وانتصروا بفضل المـدد الذي وصل اليهم عليه . وقد قتل (لقيط) وسُبي أهل (دبا) .

وكلمة (الجلندي) على ما يظهر من روايات الأخباريين ليست اسماً لشخص ، وإنما هي لقب ، وقد تعني (لقباً) أو (قيلاً) أو (كاهناً) في لهجات أهل عمان . ويؤيد ذلك ما ورد من انه (ادعى به من كان نبيـّاً)[2] .

وارتدت طوائف من أهل (عمان) ، ولحقوا بالشحر ، وارتـد جمع من (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) ، فجهز عليهم (أبو بكر) (عكرمـة بن أبي جهل بن هشام المخزومي) و (حذيفة بن حصن البارقي) من الأزد ، فتغلبا عليهم جميعاً ، وعادوا عن ردتهم الى الاسلام[3] .

ودوّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر أن الرسول كتبه لرجل من (مهرة) اسمه (مهري بن الأبيض) . كتبه له : (محمد بن مسلمة الأنصاري)[4] .

وغالب أهل عمان من الأزد . وهم من (القحطانيين على رأي أهل الأنساب . من نسل (أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان بن سبأ) . وقد عرفوا بـ (أزد عمان) ، تمييزاً لهـم عن أزد شنوءة وأزد السراة وعن أزد غسان . وذكر ان أصل كلمة (أزد) هي (أسد) ، وان (أسد) (أفصح من (أزد)[5] . وان الأزد نزلت عمان بعد سيل العرم ، فغلبت على من كان بها من ناس[6] . واما أزد (شنوءة) فقد اتجهوا نحو الشمال ، فذهب قوم منهم الى العراق ، ذكر انهم سُموا (شنوءة) لشنآن ، أي تباغض وقع بينهم أو لتباعدهم عن بلدهم[7] . وإذا أخذنا بهذا التفسير ، قلنا إنه يعني ان هذه الجماعة من الأزد ، كانت مستبدية أعرابية ، عاشت متباغضة يقاتل بعضها بعضاً ، وهذا ما دفع فلولها على الارتحال

---

١ الطبري (٣/٢١٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، ابن الأثير (٢/١٥٦ ، ٢٥٢) .
٢ الطبري (٣/٣١٤) .
٣ البلاذري ، فتوح (٨٧ وما بعدها) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) .
٥ اللسان (٣/٧١ وما بعدها)، الاشتقاق (٢٨٣) ، تاج العروس (٢/٣٨٩) .
٦ السالمي ، تحفة الأعيان (١/٧) .
٧ تاج العروس (١/٨٢) .

عن مواضعهـــا الاصلية وعلى الانتشار والتفكك والذهاب الى أماكن بعيـــدة عن مواطنها شأن الأعراب المتقاتلين المتخاذلين .

ثم نراهم يذكرون ان أول من لحق بعمان من الأزد : (مالك بن فهم بن غـــانم بن دوس بن عبـــد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن عبـــد الله ابن مالك) وكان سبب خروجه عن قومه الى عمان : ان كان له جـــار وكان لجاره كلبة ، وكان بنو أخيه (عمرو بن فهم بن غانم يسرحون ويروحون على طريق بيت ذلك الرجل ، وكانت الكلبة تعوي عليهم وتفرق غنمهم ، فرماهـــا أحدهم بسهم فقتلها . فشكا جار مالك اليه مـــا فعل بنو أخيه ، فغضب مالك وقال : لا أقيم في بلد ينال فيه هذا من جاري . ثم خرج مراغماً لأخيه عمرو ابن فهم . ثم لحقت به قبائل أخرى من الأزد)[1] .

ويذكر الأخباريون ان (عمان) نسبة الى رجل اسمه (عمان بن قحطان) : وكان أول من نزلها بولاية أخيه يعرب ، وذكر أيضاً ان (عمان) اسم وادٍ ، كان ينزل الأزد عليه حين كانوا بمأرب ، وان الفرس كانوا يسمون (عماناً) (مزون)[2] . وذكر ان العرب كانت تسمي (عمان) المزون . وذكـــر ان (أردشير بابكان) جعل الأزد ملاحين بشحر عمان قبل الاسلام بستمائـــة سنة . وقيل ان المزون ، قرية من قرى عمان يسكنها اليهود والملاحون ليس بها غيرهم[3] .

ونزل بعمان ناس من غير الأزد . منهم جمع من (بني تميم) ، ومنهـــم (آل جذيمة بن حازم) ، وقوم من (بني النبيت) من الأنصار ، ومنازلهم في قرية يقال لها (ضنك) من أعمال (السر) ، و (بنو قطن) من أهـــل يثرب كذلك ، ومنازلهـــم (عبرى) و (السليف) و (تنعم) من أرض السر ، وقوم من (بني الحارث بن كعب) ، وآخرون من (قضاعـــة) ، وفروع من (عبس)[4] .

وكان في جملة من وفـــد من أزد عمان على الرسول ، (أســـد بن يبرح

١ السالمي ، تحفة الأعيان (٩/١) .
٢ اللسان (٢٨٩/١٣) ، السالمي ، تحفة الأعيان (٧/١)
٣ اللسان (٤٠٧/١٣) .
٤ السالمي ، تحفة الأعيان (٩/١) .

الطاحي ، خرج في وفد ، فبايعوا الرسول ، وطلبوا منه ان يرسل اليهم رجلاً يقيم أمرهم ، فأمر رسول الله (مخربة العبدي) ، واسمه (مدرك بن حُوط) بأن يذهب اليهم ، ويعلمهم القرآن والأحكام . وجاء بعده وفد آخر فيه (سلمة ابن عياذ (عباد) الأزدي)[1] .

ومن عمان (صحار) ، وقد اشتهرت بسوقها . و (قلهات) ، وهي فرضة عمان على البحر ، اليها ترفأ أكثر سفن الهند[2] . و (دبا) (دما) و (مهرة)[3] . ويعقد سوق صحار في أول يوم من رجب ، ولا يختفر فيها بخفير ، ثم يرتحلون الى سوق دبا ، فيعشرهم (آل الجلندى)[4] .

ودوّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه الى وفد (ثُمالة) و (الحُدّان) . جاء فيه (هذا كتاب من رسول الله لبادية الأسياف ونازلة الأجواف مما حاذت صُحار) ، ثم ورد بعدها ما وضع عليهم الرسول من حقوق . وقد كتب الصحيفة (ثابت بن قيس بن شماس) ، وشهد عليهـــا : سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة .

وأما البحرين ، فجلّ سكانها من (بني عبد القيس) وبكر بن وائل وتميم . وهم بين أهل شرك أو نصرانية وبين شراذم من يهود ومجوس . أما الوالي عليها في أيام ظهور الرسول ، فكان (المنذر بن ساوى)[5] . وهو من بني عبد الله ابن زيد) من (بني تميم) . وكانوا ملوك المشقر بهجر ، وكانت ملوك الفرس قد استعملتهم عليها[6] . و (عبد الله بن زيد) هذا هو (الأسبذي) ، نسبة الى قرية بـ (هجر) يقال لها (الأسبذ) ، ويقال انه نسب الى (الأسبذيين) ، وهم قوم كانوا يعبدون الخيل بالبحرين[7] .

---

١ ابن سعد ، طبقات (٣٥١/١) ، نهاية الأرب (١١٥/١٨) .
٢ السالمي ، تحفة الأعيان (٨/١) ، البكري ، معجم (١٠٩/٣) .
٣ البلاذري ، فتوح (٨٨) .
٤ السالمي ، تحفة الأعيان (٨/١) .
٥ ابن الأثير (٨٩/٢) ، الطبري (١٦١/٢ وما بعدها) ، البلدان (٧٤/٢) ، المحبر (ص ٢٦٥) .
٦ المحبر (ص ٢٦٥) .
٧ البلاذري ، فتو) (٨٩) ، تاج العروس (٥٦٤/٢) ، (السبذة) .

و (المشقر) حصن آخر من حصون البحرين المعروفة ، وهو من الحصون العادية لذلك نسب بعض أهل الأخبار بناءه الى (سليمان بن داوود) على عادتهم في ارجاع نسب الأبنية العادية اليه في الغالب عند عجزهم عن معرفة أصل الأبنية . وذكر بعض آخر انه من بناء (طسم) . وقد كان لعبد القيس ، ولهم حصن آخر يليه اسمه (الصفا) قبل مدينة (هجر) . وبين الصفا والمشقر نهر يجري يقال له (العين) . ويذكر أهل الأخبار ان (بني عبد القيس) لما جاؤوا بها (إياداً) ، فأخرجوهم عنها قهراً ، وأخذوا مكانهم . وان (كسرى) حبس (تميماً) بهذا الحصن ، وفيه فتك (المكعبر) والي (كسرى) ، ببني تميم . وعرف الموضع لذلك بـ (فج بني تميم) [1] .

وقد ورد اسم هذا الحصن في شعر (لبيد بن ربيعة العامري) ، إذْ قال :

وأعوصن بالدوميّ من رأس حصنه وانزلن بالأسباب رب المشقر

وقد ذكر شارح الديوان ان الشاعر (لبيد) قصد بالدوميّ ملك دومة الجندل . وان المشقر حصن بالبحرين . (قال أبو عمرو : وكان ربّه رجلاً من الفرس) [2] . وجاء في هامش التحقيق ان (المشقر : قصر بالبحرين بناه معاوية بن الحارث بن معاوية الملك الكندي ، وكانت منازلهم ضرية ، فانتقل أبوه الحارث الى الغمر ، وبنى ابنه المشقر ، وقال ابن الأعرابي : المشقر بمدينة قديمة في وسطها قلعة ، وهي مدينة هجر) [3] .

وتقع ديار (عبد القيس) الى الشمال من ديار (أزد عمان) ، وهي تشرف على الخليج ، وتمتد نحو الشمال حتى تصل الى منازل قبائل (بكر بن وائل) ، وقد خالطتها قبائل أخرى . وسكنت الى الغرب من ديار (عبد القيس) قبائل (تميم) ، التي تمتد ديارها موازية لديار (بني عبد القيس) الواقعة الى شرقها حتى تصل الى ديار (بكر بن وائل) وديار (أسد) التي تؤلف الحدود الشمالية الغربية لها . وأما القبائل النازلة الى الغرب من ديار تميم ، فهي : أسد وهوازن

---

١ وهناك مواضع أخرى عرفت باسم (المشقر) ، البلدان (٤/٦١٥) (طهران) ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد (٧٣) ، مراصد الاطلاع (٣/١٢٧٥) ، البكري ، معجم (٣/١٢٣٢) .

٢ شرح ديوان لبيد (ص ٥٦) .

٣ شرح ديوان لبيد (ص ٥٦) ، هامش رقم (١) .

و (غني) و (باهلة) ، وأما القبائل النازلة الى الجنوب من بلاد تميم ، فهي (أزد عمان) و (عبد مناة) و (ضَبّة) .

ويظهر من دراسة الروايات التي يرويها أهل الأخبار عن هجرة القبائل ، ان (بني عبد القيس) ، لما جاؤوا الى البحرين ، كانت البلاد إذْ ذاك لإياد ، فجلت إياد من البحرين ونزحت نحو العراق ، فكان مـا كان لهـا من مواقف هناك مع الفرس [1] .

وسبب غدر (المكعبر) ببني تميم ، هو وثوبهم على قافلة كانت محملة بالطرف والأموال أرسلها (وهرز) عامل كسرى على اليمن الى كسرى ، فاغتاظ (كسرى) من ذلك ، وأراد ارسال جيش عليهم ، فأخبر ان بلادهم بـلاد سوء ، قليلة الماء ، وأشير اليه ان يرسل الى عامله بالبحرين ان يقتلهم ، وكانت تميم تصير الى هجر للميرة . فلجأ العامل الى الغدر بهم ، فأمر مناديه ان ينادي لا تطلق الميرة إلا لتميم ، فأقبل اليه خلق كثير ، فأمرهم بدخول المشقر وأخذ الميرة ، والخروج من باب آخر ، فدخل قوم منهم فقتلهم . ثم أجهز على الباقين ، وبعث بذراريهم في سفن الى فارس [2] .

وذكر ان (المكعبر) واسمه (فيروز بن جشيش) ، تحصن بـ (الزارة) وانضم اليه مجوس كانوا تجمعوا بالقطيف ، وامتنعوا عن أداء الجزية ، فحاصرها (العلاء) وفتحها في أول خلافـة (عمر) . وفتح (العلاء) (السابون) و (دارين) في الساحل المقابل من الخليج [3] .

وتميم من القبائل الكبيرة التي كان لها شأن عند ظهور الاسلام . وقد سكنت في مواضع متعددة من جزيرة العرب وفي العراق وبادية الشأم . وكان من أشرافها عند ظهور الاسلام : عطارد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي ، والأقرع ابن حابس ، والزبرقان بن بـدر ، وعمرو بن الأهتم ، وقيس بن عاصم [4] ،

١ الأغاني (٢٣/٢٠) ، البكري (٦٧/١ ، ٨٢) ، البلاذري ، أنساب (٢٥/١) ، الجاحظ ، البيان (١٢١/١) .
٢ آثار البلاد (ص ٧٣) .
٣ البلاذري ، فتوح (٩٥ وما بعدها) .
٤ الطبري (١١٥/٣) ، (قدوم بني تميم ونزول سورة الحجرات) ، نهاية الأرب (٣٢/١٨ وما بعدها) .

وربيعة بن رفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، ومالك بن عمرو ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس [1] ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، ورباح بن الحارث [2] . و (سفيان بن الحارث بن مصاد) [3] .

وكان (الزبرقان بن بدر) على الرباب وعوف والأبناء ، وقيس بن عاصم على (مقاعس) والبطون ، و (صفوان بن صفوان) على (بهدى) ، و (سبرة بن عمرو) على (خضم) من (بني عمرو) . و (بهدى) و (خضم) قبيلتان من (بني تميم) . و (وكيع بن مالك) و (مالك بن نويرة) على (بني حنظلة) : (وكيع) على (بني مالك) و (مالك) على (بني يربوع) . ولما وقعت (الردة) ، ارتبك موقف زعماء (تميم) ، وكانوا متخاصمين غير متفقين فيما بينهم ، وبينهم تحاسد وتباغض ، منهم من أدى الصدقة ومنهم من امتنع ، وتخاصموا فيما بينهم بسبب ذلك . وزاد في ارتباكهم هذا قدوم (سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان) من الجزيرة ، وكانت ورهطها في (بني تغلب) تقود أفناء (ربيعة) ، ومعها (الهذيل بن عمران) في (بني تغلب) و (عقة بن هلال) في النمر ، و (تاد) في إياد ، و (السُليل بن قيس) في (شيبان) ، وحاروا في أمرهم ، منهم من انضم اليها ومنهم من خالفها وقاتلها ، ثم اتجهت نحو (مسيلمة) باليمامة واتفقت معه ، ثم غادرته راجعة الى قومها [4] .

ولما امتنع (مالك بن نويرة) عن دفع الصدقة ، سار عليه (خالد بن الوليد) الى (البطاح) ، وكان قد فَرَّقَ قومه ، وأمرهم بعدم التعرض والمقاومة ، ولكنه قتل . وانتهى بذلك أمر تميم [5] .

وكان (الاقرع بن حابس بن عقال) المجاشعي الدارمي في جملة المؤلفة

---

١ الطبري (٣/١٥٧) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٩٣ وما بعدها) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٣/٢٦٧ وما بعدها) .
٤ الطبري (٣/٢٦٧ وما بعدها) .
٥ الطبري (٣/٢٧٦ وما بعدها) ، (ذكر البطاح وخبره) ، الميداني ، مجمع الأمثال (٢/١٣٩) ، العقد الفريد (٣/٢٦٤) ، زهر الآداب (٣/٧٦١) ، تاريخ خليفة بن خياط (١/٧٠) .

قلوبهم . [1] وهو من سادات تميم . وذكر انه كان على دين المجوس . [2]

ولقبيلة تميم صلات بملوك الحيرة ، وقد كانت (الردافة) اليها . وهي مكانة ودرجة مهمة جداً ، لا تعطى الا للقبائل المتنفذة القويّة . ومع ذلك فقد وقعت بينها وبينهم خطوب ومعارك . لما في طبع القبائل من شق عصا الطاعة عند شعورها بوجود وهن في الحكم . وبأن في امكانها الانفراد بنفسها في الحكم . كما كانت لها صلات متينة برجال مكة التجار ، ولها معهم اعمال وتجارة وعهود وحبال . لحماية قوافل قريش ولتأمين وصولها سالمة الى الاماكن التي كانت تقصدها .

ونجد تميماً تحارب (بكر بن وائل) ومن يشد ازرها ويعاونها من (الاساورة) وذلك يوم (الصليب) . وقد انتصر (بنو عمرو) وهم من تميم على (بني بكر) ، وقتل (طريف) (رأس الاساورة) . [3] وقد كانت (بكر بن وائل) من القبائل المؤيدة للساسانيين . وكان الفرس يقومونهم ويجهزونهم . ويشرف على تجهيزهم عاملهم على (عين التمر) . [4]

وتظهر صلات (تميم) الطيبة بقريش من اخبار اهل الاخبار عن تجارة قريش وعن الطرق التي كان يسلكها تجارهم لوصولهم الى الاسواق ، مثل سوق دومة الجندل والمشقر والاسواق الاخرى . لقد كانت الطرق المؤدية الى تلك الاسواق تمر بأرضين هي لاحياء من تميم . ولم تكن هذه الاحياء تتعرض لتجار مكة او للتجار المتحالفين معهم والذين يتاجرون باسمهم ، بأي سوء . على العكس كانت تحترمهم وتقدم لهم المعونة ، لوجود حبال وعهود عقدها ساداتهم مع سادات قريش . ونظراً الى ما كان من حلف بين (كلب) و (تميم) ، فقد صار في وسع تاجر مكة ومن هو في حلفه او يتاجر بحماية تجار مكة ، المرور في منازل (كلب) بأمن وسلام . [5]

ومن ديار تميم (الحزن) ، وهو لـ (بني يربوع) . وهو مرتع من مراتع

١ تاج العروس (٦/٤٤) ، (الف) .
٢ الأعلاق النفيسة (٢١٧) .
٣ M. J. Kister, VIII, II, November, 1965, P. 114.
٤ النقائض (٥٨١) . Kister, P. 114.
٥ Kister, P. 128.

العرب ، فيه رياض وقيعان . وقيل هو صقع واسع نجدي بين الكوفة وفيـد . وقيل : هو قف غليظ ، ومربع من مرابع العرب ، بعيد عن المياه ، فليس ترعاه الشياه ولا الحمر . فليس فيها دمن ولا ارواث . [1] وعرف بأنه بلاد بني يربوع . وهناك حزن آخر ما بين زبالة فما فوق ذلك مصعداً في بلاد نجد. وفيه غلظ وارتفاع. وقد ورد ذكر (الحزن) في شعر للأعشى ، حيث يقول :

ما روضة من رياض الحزن ، معشبة خضراء جاد عليها مُسبل هطل

وذكر انه موضع كانت ترعى فيه إبل الملوك ، وهو من ارض (بني اسد) . [2]

وكانت قوافل قريش اذا قصدت (دومة الجندل) ، وسلكت السبل التي تمر بـ (الحزن) ، فانها تكون آمنة مطمئنة ، لانها تمر ببلاد مضر . ولا يتحرش مضريّ بمضريّ . وكانت اذا عادت وأرادت سلوك مواضع الماء ، مرّت بديار كلب ، فتكون عندئذ آمنة مطمئنة ، لأن لكلب حلفاً مع (تميم) و (تميم) من مضر ولها صلات وعلاقات بمكة . واذا مرت بحزن اسد ، فانها تكون آمنة كذلك ، لأن (بني اسد) من مضر . واذا دخلت ديار (طيء) ، صارت آمنة ايضاً ، لأن لطيء حلفاً مع بني اسد . [3]

ويظهر انه قد كانت لتميم صلات بقريش وبمكة تعـود الى ايام سابقة على الاسلام . اذ نجد في روايات اهل الاخبار ان نفراً منهم كانوا يذهبون الى مكة ومنهم من كان يذهب اليها للاتجار . فقد ذكر ان تميميـاً كان متجره بمكة ، وقد اختلف مع (حرب) ، فاعتدى عليه (حرب) . فذهب التميمي الى (بني هاشم) واستجار بهم ، فأجاره (الزبير بن عبد المطلب) ، رئيس (بني هاشم) ، [4] وذكر ان نفراً من (بني دارم) كانوا في جوار رجال من (بني هاشم) . [5]

بل يظهر انه قد كان لهذه القبيلة علاقة بمكة نفسها وبسوق عكاظ . وهو

١ اللسان (١١٣/١٣) ، (حزن) ، تاج العروس (١٧٤/٩) ، (حزن) .
٢ اللسان (١١٣/١٣) ، (حزن) ، تاج العروس (١٧٤/٩ وما بعدها) ، (حزن) .
٣ المرزوقي ، الأمكنة (١٦٢/٢) .
٤ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة (٤٦٥/٣) ، ابن عساكر ، تاريخ ، (٣٢٩/٧)، سيرة ابن دحلان (٢٢/١) .
٥ Kister, P. 130.
Kister, P. 131.

سوق مهم تقصده قريش ، وكانت تتحكم في شؤونه . فلتميم صلة بـ (الإفاضة) ، ولها صلة بالحكومة في سوق عكاظ ، وقد ذكر اهل الاخبار اسماء عدد من حُكّام تميم حكموا بعكاظ . وكانت هي وقريش وكنانة ، تدير مراسم الحج وتحافظ على شعائره . مما يدل على انها كانت ذات صلة قديمة بمكة ، ولا سيما بعض احياء منها ، مثل (بنو دارم) ، الذين ظهروا على اكثر احياء تميم . ولعل ابتعادها عن مكة وارتحال احيـائها الى مواطن بعيدة عن مكة ، قد باعد فيما بينها وبين قريش ، وقلل من صلاتها بهم .

وتتجلى هذه العلاقة في تزوّج قريش من (تميم) ، مع ما عرف عن قريش من الامتناع من التزوج من غير قريش . وقد روى اهل الاخبار اسماء جماعة من اشراف مكة ، كانت أمهاتهم من (تميم) . ونجد في مكة رجالاً من تميم تحالفوا مع رجال من مكة . فصاروا من حلفائهم . [1]

وقيام (تميم) بمهمة (الحكومة) في سوق عكاظ ، وبـ (الإجازة) ، يدل على اهمية مركز هذه القبيلة بالنسبة لقريش . وما كانت قريش تعطي (الإجازة) لتميم ، لولا ما كان لها من نفوذ ومن علاقات طيبة بقريش . وقد افتخر (بنو تميم) ، بالحكومة في (عكاظ) وبالاجازة في الجاهلية وفي الاسلام . [2]

وكان (بنو عبد القيس) من قبائل البحرين المتنفذة . وكانت غالبيتهم على النصرانية ، ومنهم كان (الجارود بن عمرو بن حنش بن المعلي) ، الذي قدم في وفد عبد القيس الى الرسول ، فأسلم على يديه . وقد رفض الدخول فيما دخل فيه قومه من الردة عن الاسلام والعودة الى النصرانية وتأييد (الغرور) : المنذر ابن النعمان بن المنذر . [3] وكان في جملة الوفد الذي قدم على الرسول عام الفتح : (عبد الله بن عوف الأشج) و (منقذ بن حيّان) ، وهو ابن اخت الأشج ، فأسلما وعادا الى ديارهما . [4]

ودوّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول وجهه الى (الأكبر بن عبد القيس) . ولم يشر الى المراد من (الاكبر بن عبد القيس) . ومما جاء فيه

١ المصعب الزبيري ، نسب قريش (٢٦٧) ، Kister, P. 157

٢ Wellhausen, Peste, S., 57, Gunebaum, Mohammadan Festivals, P. 32. F., Kister, P. 155.

٣ الطبري (٣/١١٣٦) ، (قدوم الجارود في وفد عبد القيس) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٣٤١) ، نهاية الأرب (١٨/٦٥ وما بعدها) .

ان (العلاء بن الحضرمي) (امين رسول الله على بَرّها وبحرها وحاضرهـا وسراياها وما خرج منها ، وأهل البحرين خفراؤه من الضيم وأعوانه على الظالم وأنصاره في الملاحم) : [1]

وكان الرسول قد ارسل (العلاء بن الحضرمي) سنة ثمان قبل فتح مكة الى (المنذر بن ساوي العبدي) ، يدعوه الى الاسلام ، فأسلم ، فهلك بعـد وفاة الرسول بشهر ، وارتد بعـده أهل البحرين . [2] واجتمعت (ربيعة) بالبحرين وارتدت ، وملكوا عليهم (المنذر بن النعمان بن المنذر الغرور) ، وكان يعاونه (الغرور بن سويد) اخي النعمان بن المنذر ، ويسمى (المنذر بن سويد بن المنذر) ، [3] وكان رأس اهل الردة (الحطم بن ضُبَيْعة) أخو بني قيس بن ثعلبة ، فجمع من اتبعه من بكر بن وائل ، حتى نزل القطيف وهجر ، واستغوى الخط ومن فيها من الزط والسيابجة ، وبعث بعثاً الى (دارين) وبعث على (جواثي) فحصرهم . [4] وكان قد منى (سويد بن المنذر) بأن يجعله كالنعمان بالحيرة ، غير انه فشل وغلب المسلمون اهل الردة ، وقتل (الحطم) . [5]

وكان (المنذر بن النعمان) يسمى (الغرور) ، فلما ظهر المسلمون ، قال : لست بالغرور ولكني المغرور ، ولحق هو وفُلّ (ربيعة) بالخط ، فأتاها (العلاء) ففتحها وقتل المنذر ومن معه . وذكر انه نجا فدخل الى (المشقر) ، ثم لحق بسليمة فقتل معه . وذكر انه قتل (يوم جواثا) ، وذكر انه استأمن ثم هرب فلحق فقتل . [6] وقيل انه اسلم .

والمنذر بن ساوى هو رجل عربي من (بني تميم) من (بني دارم) على رأي اكثر أهل الاخبار . وقد ذهب بعضهم الى انه من (بني عبد القيس) . ولكن اكثرهم على انه (المنذر بن ساوى بن الاخنس بن بيان بن عمرو بن عبد الله ابن زيد بن عبد الله بن دارم التميمي الدارمي) . [7] وكان هو المتولي على البحرين في ايام الرسول .

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٣) .
٢ الطبري (٣/١٣٦) وما بعدها ، (٣٠) ، البلاذري ، فتوح (٨٩) .
٣ الطبري (٣٠٤٣/٣٠٩ وما بعدها) .
٤ وهو حصن بالبحرين ، البلاذري ، فتوح (٩٤) .
٥ الطبري (٣/٣٠٤ وما بعدها) .
٦ البلاذرى ، فتوح (٩٥) .
٧ أسد الغابة (٤/٤١٧) .

ونجـــد في طبقات ابن سعد صورة كتاب أرسله الرسول الى (المنـــذر بن ساوى) ، يذكر فيه ان رسُل رسول الله قد (حمدوك ، وانك مهما تصلح أصلح اليك واثبتك على عملك وتنصح لله ولرسوله) ، كما نجد للرسول كتاباً آخر ، يخبر (المنذر) فيه انه قد بعث اليه (قدامة) و (أبا هريرة) ، و (فادفع اليهما ما اجتمع عندك من جزية أرضك) . وأرسل كتابـــاً مثله الى (العلاء بن الحضرمي) يخبره فيه ، انه بعث الى المنذر بن ساوى من يقبض منه ما اجتمع عنده من الجزية ، فعجله بها . وابعث معها ما اجتمع عندك من الصدقة والعشور) . وكاتب الكتابين أُبيّ [1] . وكتب المنذر كتاباً الى الرسول ، جاء فيه : (إني قرأت كتابك على أهل هجر ، فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ، ومنهم من كرهه) [2] .

وفي طبقات ابن سعد ، كتاب من الرسول ، ذكر انه أرسله (الى الهلال صاحب البحرين) ، فيه دعوة لهلال الى الاسلام والى عبادة الله وحده والدخول في الجماعة فان ذلك خير له [3] . ويظهر ان هلالاً هذا كان أحد سادات البحرين في هذا الوقت ، وانه كان قد تأخر عن (الجماعة) أي قومـــه في الدخول في الاسلام ، فكتب الرسول له ذلك الكتاب .

وأما (هجر) ، فكان عليها عند ظهور الاسلام مرزبان يدعى (سيبخت) وإليه ذهب أيضاً العلاء بن الحضرمي يدعوه الى الاسلام ، فأسلم وأسلم معه جميع العرب وبعض العجم [4] . وأما أهل الأرض هناك من اليهود والنصارى والمجوس ، فقد صالحوا العلاء على الجزية [5] . وهَجَرٌ سوق من أسواق الجاهلية ، يؤمها (بنو محارب) من (عبد القيس) [6] . ويظهر من كتاب أمر رسول الله بتدوينه اليه ، انه لما أسلم وصدق أرسل الى رسول الله رسولاً يخبره بذلك اسمه (الأقرع) ، فكتب اليه الرسول كتاباً حمله اليه الأقرع صاحبه ، ويذكر رسول الله فيه انـــه

---

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٦) .
٢ نهاية الأرب (١٨/١٦٧) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٥) .
٤ البلدان (٢/٧٤) ، البلاذري ، فتوح (٨٩ وما بعدها) .
٥ أسد الغابة (٤/٧) ، فتوح البلدان (٨٦) ، البلدان (٢/٧٢) .
٦ صفة (١٣٦ وما بعدها) (ابن بليهد ١٩٥٣ م) .

علم بما جاء في كتاب (سيبخت) اليه ، وانـــه يحثه ويدعوه الى القيام بشعائر الاسلام [1] .

وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى ان هجراً كانت قاعـــدة البحربن ، وقال بعض آخر انها اسم لجميع أرض البحرين . وقـــد اشتهرت بالتمر ، فقيل في المثل : كمُبضِع التمر الى هجر ، كما عرفت بأوبئتها ، وقـــد روي ان الخليفة عمر قال : (عجبت لتاجر هجر وراكب البحر) ، كأنـــه أراد ذلك لكثرة وبائها ، فعجب من تاجر يذهب لذلك اليها ، كما عجب من راكب البحر ، لأنه سواء في الخطر . ويظهر انها كانت كثيرة المياه ذات مستنقعات ، لذلك تفشت بها الأوبئة . وذكر الأخباريون انها عرفت بـ (هجر) ، نسبة الى (هجر بنت المكفف) ، وكانت من العماليق ، أو من العرب المتعربة ؛ وكان زوجها : محلم ابن عبد الله صاحب النهر الذي بالبحرين ، ويقال له : نهر محلم وهناك عين ماء عرفت بعين هجر وبعين محلم [2] .

وذكر أهل الأخبار ان (ملك هجر) ، ولم يشيروا الى اسمه ، كان قـــد سوّد (زُهرة بن عبد الله بن قتادة بن الخوية) ، ووفّده على النبي ، وانـــه كان في جيش (سعد بن أبي وقاص) الذي أرسله الى العراق ، فجعله (سعد) من (أمراء التعبية) [3] . ولعلهم قصدوا بذلك المرزبان (سيبخت) ، الذي ذهب اليه (العلاء بن الحضرمي) بأمر الرسول ليدعوه الى الاسلام ، فأسلم على يديه .

ويعرف الساحل المقابل لجزيرة (أوال) من جزر البحرين ، بـ (السيف) سيف البحر . والسيف في اللغة ساحـــل البحر [4] . ويليه (الستار) : (ستار البحرين) [5] .

و (كاظمة) جوّ على سيف البحر ، وفيها ركايا كثيرة وماؤها شروب [6] .

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٥) .
٢ تاج العروس (٣/٦١٣ وما بعدها) ، البكري ، معجم (٣/٣٤٦) ، البلدان (٥/٣٩٣) ، المعاني الكبير ،لا بن فتيبة (٢/٩٥٤) .
٣ الطبري (٣/٤٨٨) .
٤ اللسان (٩/١٦٧) .
٥ صفة (١٣٦ وما بعدها) ، (طبعة ابن بليهد) ، اللسان (٤/٣٤٥) .
٦ اللسان (١٢/٥٢١ وما بعدها) .

وعرفت بـ (كاظمة البحور) [1] . وقد أكثر الشعراء من ذكرها [2] . وهي موضع مجهول في الوقت الحاضر ، يظن ان مكانه على ساحل الجون المقابل لموضع (الجهرة) . ويعرف ذلك الموضع بـ (دوحة كاظمة) [3] .

وكان على الأبلة وما والاها (قيس بن مسعود بن خالد) ، فلما علم بما فعله كسرى بملك الحيرة ، تفاوض سراً مع بكر ، واتفق معها على مساعدتها . فلما انتهت معركة (ذي قار) لم يجرأ كسرى ان يلحق به أذى ما هو في أرضه ، فعمد الى الحيلة للانتقام منه ، بأن كتب اليه يطلب منه المجيء لرؤيته . فلما ذهب اليه ، قبض عليه وحبسه في قصره بالأنبار أو بساباط [4] . وقد عدّه أهل الأخبار في المعدودين من (أجواد الجاهلية) . ذكروا انه كانت له مائة ناقة مُعدّة للأضياف إذا نقصت أتمها . وقد مدحه لذلك الشعراء . وعدّ من (ذوي الآكال) . وذكر ان كسرى كان قد أطعمه (الأبلة) وثمانين قرية من قراها [5] .

وكان على اليمامة (هوذة بن علي الحنفي) ، وكان ملكاً على دين النصرانية ، واليه أرسل رسول الله (سليط بن عمرو) (سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري) يدعوه الى الاسلام . فأرسل (هوذة) وفداً الى الرسول ليقول له : (إن جعل الأمر له من بعده أسلم ، وسار اليه ونصره ، وإلا قصد حربه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، ولا كرامة) [6] . ثم مات بعد قليل . وذكر انه كان شاعر قومه وخطيبهم ، وكانت له مكانة عند العرب [7] .

وذكر انه كان من (قُرّان) من مواضع اليمامة ، وأهلها أفصح بنو حنيفة .

١ صفة (١٣٦ وما بعدها) ، (ابن بليهد) .
٢ البلدان (٤/٤٣١) ، (بيروت ١٩٥٧ م) ، صبح الأعشى (٣/٢٤٧) ، تقويم البلدان (٥/٥٦) ، البكرى (٤/١١٠) ، شرح مقامات الحريري (٢/٣٥٩) ، (الشريشي) .
٣ التحفة النبهانية في تاريخ جزيرة العرب ، لخليفة بن أحمد آل نبهان (٨/٥٧) .
٤ ديوان الأعشى (القصيدة ٢٦) ، (ص ١٢٨) ، (طبعة كاير) ، Geyer .
٥ المحبر (ص ١٤٣ وما بعدها ، ٢٥٣) .
٦ ابن الأثير (٢/٨٩) ، البلاذري ، فتوح (٩٧) .
٧ (سليط بن عمرو العامري) ، نهاية الأرب (١٨/١٦٦) .

وانه كان من وجهاء قومه . وقد نسب على هذه الصورة : (هوذة بن عليّ بن ثمامة بن عمرو الحنفي) من بكر بن وائل[1] . وورد ان تميماً كانت قد قتلت والد (هوذة) ، وان هوذة كان يكره بني تميم كرهاً شديداً حتى ان كسرى حين سأله عنهم أجابه : (بيني وبينهم حساء الموت ، فهم الذين قتلوا أبي) . وورد ان كسرى سأل هوذة عن عيشه وعن ماله ، فقال : (أعيش عيشة رغيدة ، واغزو المغازي ، واحصل على الغنائم)[2] . ولكن الظاهر انه لم يكن كفؤاً لبني تميم . وان ملكه لم يتجاوز حدود اليمامة .

وزعم أهل الأخبار ان (كسرى) تَوَجَّهَ الى اليمامة ، أو انه سمع بجوده وكرمه ، فاستدعاه اليه ، ولما وجد فيه عقلاً وسياسةً ورجاحة رأي تَوّجه بتاج من تيجانه ، ولذا لقب هوذة بـ (صاحب التاج) ، وأقطعه أموالاً بـ (هجر) ، وكان نصرانياً . وقيل إن كسرى دعا بعقد من الدُرّ فعقد على رأسه وكساه قباء ديباج مع كسوة كثيرة ، فمن ثم سُمّي هوذة ذا التاج . وذكر ان سبب استدعاء كسرى له ، انه أكرم رجال العير التي حملت الطاف وهدايا وأموال (وهرز) التي أرسلها من اليمن الى (كسرى) ، وكانوا قد انتُهبوا حتى لم يبق عندهم شيء ، فصاروا الى (هوذة) ، فأكرم مثواهم وآواهم وكساهم : وزَوّدهم وحماهم ، وسار معهم اليه ، فأكرمه كسرى على النحو المذكور[3] . وقيل إنه لم يكن صاحب تاج ، وإنما كان يضع على رأسه إكليلاً رصعه بأحجار ثمينة كأنه التاج تشبها بالملوك[4] .

ويروي أهل الأخبار ان الشاعر الأعشى قال في حق هوذة :

له أكاليل بالياقوت فصّلها ... صوّاغها لا ترى عيبا ولا طبعا

١ البكري ، معجم (ص ١٠٦٣) ، (وقران كرمان باليمامة . وهي وملهم لبني سحيم من بني حنيفة) ، تاج العروس (٣٠٩/٩) ، (قرن) .

٢ الكامل ، لابن الأثير (٣٧٨/١) ، المعارف ، لابن قتيبة (٩٧ وما بعدها) ، الأغاني (٧٥/١٦ وما بعدها) .

٣ الأغاني (٧٥/١٦ وما بعدها) ، العمدة ، لابن رشيق (٢٠٦/٢) ، الطبري (١٦٩/٢ وما بعدها) (طبعة دار المعارف بمصر) . العقد الفريد (٢٤٣/٢) .

وذكر انه كان أول معدّيّ لبس التاج ، ولم يلبس التاج معديّ غيره [1] .

ويظهر من روايات أهل الأخبار عن يوم الصفقة وعن يوم المشقر ، ان نفوذ (هوذة) لم يكن واسعاً بعيداً ، بل كان محدوداً بحدود قبيلته ، وانه لم يكن في مستوى ملوك الحيرة أو آل غسان ، بل كان سيد قومه إذْ ذاك ، حتى انه لما طمع في الجعالة التي كان الفرس يعطونها لمن يتولى خفارة قوافلهم الآتية من اليمن الى العراق أو الذاهبة من العراق الى اليمن ، ووافق الفرس على ان يعطوه ما أراد ، وسار مع القافلة خفيراً لها من (هجر) حتى (نطاع) ، وبلغ (بنو سعد) ما صنعه (هوذة) ، خرجوا عليه وأخذوا ما كان مع الأساورة والقافلة وما معه ، وأسروه ، حتى اشترى منهم نفسه بثلاثمائة بعير ، وقد عُيّر في ذلك ، وتغنى شاعر (بني سعد) بذلك اليوم ، الذي سيق فيه هوذة ، وهو مقرون اليدين الى النحر ، فلما استلم بنو سعد الإبل المذكورة جاؤوا به الى اليمامة فأطلقوه [2] .

ويذكر أهل الأخبار ان هوذة سار مع من تبقى من الأساورة وبقية فلول القافلة الى (كسرى) ، ليخبره بما حدث له ، وبما فعلت به بنو تميم ، ودخل على ملك الفرس فأكرمه ، وأمر باسقائه بكأس من ذهب ، ثم أعطاه إياه وكساه قباءاً له ديباج منسوج بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة قيمتها ثلاثون ألف درهم وحباه ثم عاد الى بلاده . ولو كان هوذة قد جاء كسرى بخبر انتصار وانقاذ للقافلة جاز لنا أخذ هذا الوصف على محمل الصدق ، أما وأن الرواية هي في موضوع هزيمة واندحار ، فإن من الصعب علينا التصديق بها ، ولا سيما وان ملوك الفرس كانوا أصحاب غطرسة وكانوا إذا جاءهم أحد بخبر هزيمة قابلوه بالازدراء والتبكيت وبإنزال اللعنات عليه في الغالب . وليس في هذا الموقف ما يدعو الى اسقاء هوذة بكأس من ذهب .

ويذكر أهل الأخبار ان اليمامة من نجد ، وقاعدتها (حجر) ، وكانت

١ وكل زوج من الديباج يلبسه أبو قدامة مجبورا بذاك معا
له أكاليل بالياقوت زينها صواغها ، لا ترى عيبا ولا طبعا
الأمالي ، للمرتضى (١٧٢/٢) ، ديوان الأعشى (٨٦) .

٢ الأغاني (٨/٥) ، الطبري (٥٨١/١) .

تسمى (جـــدا) في الأصل ، كما عرفت بـ (جو) . وذكروا انهـــا سميت (يمامة) نسبة الى (اليمامة بنت سهم بن طسم) ، وكانت منازل طسم وجديس في هذا المكان . وقد تناولتها الأيدي حتى صارت في أيدي (بني حنيفة) عند ظهور الاسلام في قصص من قصص أهل الأخبار [1] .

واليمامة من الأماكن الخصبة في جزيرة العرب . وبها (وادي حنيفة) . وبه مياه ومواضع كانت عامرة ثم خربت ، وهي اليوم خراب أو آثار . وقد اشتهرت قراها ومزارعها ، وكانت من أهم الأرضين الخاضعة لمملكة كندة . ويظهر ان سيلاً جارفاً أو سيولاً عارمة اكتسحت في الاسلام بعض قراها ، فهجرت إذْ ترى في هـــذا اليوم آثار أسس بيوت مبنية من اللبن ومن الطين ، يظهر انهـــا اكتسحت بالسيول وجاءت الرمال فغطتها بغطاء لتستر بقاياها عن رؤية النور [2] . وقد ذكر أهل الأخبار ان اليمامة كانت من (أحسن بلاد الله أرضاً وأكثرها خيراً وشجراً ونخيلاً) [3] . وبها مياه كثيرة . وقد عرف أهلها بالنشاط وبالتحضر ، وذلك بسبب وجود الماء بها ، إذْ أغرى سحر الماء الناس على الإقامة عند مواضع المياه ، فنشأت مستوطنات كثيرة . ولا زال أهل اليمامة يعدّون من أنشط سكان المملكة العربية السعودية .

وحدود اليمامة من الشرق البحرين ومن الغرب تنتهي الى الحجاز ، وأما من الشمال فتتصل بواد متصل بالعذيب والقصرية والنباج وسائر حدود البصرة وجنوبها بلاد اليمن . هذا على تعريف (ابن رسته) . وتبعـــد (جو) وهي الخضارم من حجر يوماً وليلة [4] . ومن مواضع اليمامة (منفوحة) ، وهي قرية مشهورة ، كان يسكنها الأعشى ، وبها قبره . وهي لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة [5] . ومن مواضع اليمامة الأخرى (المعلاة) من قرى (الخرج) [6] .

١ البلدان (٤٤١/٥) ، فتوح البلدان (١١٨) ، البكري ، معجم (٨٣/١) ، المعاني الكبير لابن قتيبة (١٠٤١/٢) ، الهمداني ، صـــفة (١٤١) ، تاج العـــروس (١١٤/٩ وما بعدها) (يمم) .

٢ Naval, R., 233.

٣ تاج العروس (١٥/٩) ، (يمم) .

٤ ابن رستة ، الأعلاق (١٨٢) ، تاج العروس (١١٥/٩) ، (يمم) .

٥ تاج العروس (٢٤٢/٢) ، (نفح) .

٦ تاج العروس (٢٥٠/١٠) ، (علا) .

ومن أبرز قبائـــل اليمامة في أيام الرسول ، (بنو حنيفة) . و (حنيفة) لقب (أثال بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل) . ويذكر أهـــل الأخبـــار ، ان (الأحوى بن عوف) المعروف بجذيمة ، لقي أثالاً فضربـــه فحنفه ، فلقب حنيفة . وضربه أثال فحذمه جذيمة . فقال جذيمة :

فإن تـــك خنصري بانت فإني بهـــا حنَّفت حاملتي أثـــال [1]

وقد وفد وفد منهم ، فيه (مسيلمة بن حبيب) الذي عرف بـ (الكذّاب) لادعائه النبوة ، وكان قد طلب من الرسول ان يشركه معه في الأمر . وادعى النبوة ، ثم قتل . وكان يسجع السجعات مضاهاة للقرآن [2] . وممن كان في هـذا الوفـــد : (رحال بن عنفوة) ، وقـد شهد لمسيلمة ان رسول الله أشركه في الأمر فافتتن الناس به ، و (سلمي بن حنظلة السحيمي) و (طلق بن علي بن قيس) و (حمران بن جابر بن شمر) و (علي بن سنان) و (الأقعس بن مسلمة) و (زيد بن عبد عمرو) ، وعلى الوفد (سلمي بن حنظلة) [3] .

ويذكر ان (سجاحاً) ، وهي (سجاح بنت أوس بن العنبر بن يربوع) التميميـــة التي تكهنت وادعت النبوة ، أتت (مسيلمـــة الكذّاب) ، وهـــو بـ (حجر) ، فتزوجته ، وجعلت دينها ودينه واحداً . وكان قد اتبعها قوم من (بني تميم) وقوم من أخوالها من (بني تغلب) [4] .

ومن (بني حنيفة) ، (عُمير) و (قُرين) ابنـــا (سلمي) . وكان (عُمير) أوفى العرب ، قتل أخاه (قرينا) بقتيل قتله من جيرانه [5] . ومنهم (مجاعـــة بن مرارة بن سلمي) ، وكان رسول الله قـــد أقطعه (الغورة) و (غرابـــة) و (الحبل) ، ثم أقطعه (أبو بكر) (الخضرمة) ثم أقطعه (عمر) (الرياء) ، ثم أقطعه (عثمان) قطيعة أخرى [6] .

١ تاج العروس (٧٨/٦) ، (حنف) .
٢ الطبري (١٣٧/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، (فدوم وفد بني حنيفة وفيهم مسيلمة) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٣١٦ وما بعدها) .
٤ البلاذري ، فتوح (١٠٨) .
٥ الاشتقاق (ص ٢٠٩) .
٦ البلاذري ، فتوح (٩٨ ، ١٠٢ وما بعدها) .

ومن رجال اليمامة (محكم بن الطفيل بن سبيع) الذي يقال له (محكم اليمامة) ، وقد ارتد وقتل مع من قتل من المرتدين[1] .

ومن قبائل اليمامة : بنو باهلة بن أعصر ، وبنو نمير وأحياء من تميم . واستقرت بطون من بكر وعنزة وضبيعة في القسم الشرقي من اليمامة حتى البحرين ، واتصلت منازل بطون منها بالعراق[2] . كما كان بها (بنو هزان) ، وهم من قطنة اليمامة القدامى : إذ نجد أهل الأخبار يرجعون تأريخهم بها الى أيام طسم ، أي الى أيام العرب العاربة أو العرب البائدة الأولى . والظاهر ان أهل الأخبار قد حاروا في أمر (هزان) . فجعلوهم من العرب البائدة ودعاهم الهمداني بـ (هزان الأولى)[3] ، وجعلوهم من اليمن ونسبوهم الى (قحطان) وجعلوهم من (معدّ) . وهم الذين بقوا في ديارهم اليمامة الى الاسلام وفي الاسلام[4] . ويظهر من روايات أهل الأخبار ، انهم قصدوا قبائل مختلفة لا قبيلة واحدة هي (هزان) التي ظلت باقية ولها بقية في اليمامة حتى اليوم . ولكننا نستبعد كون القبائل الثلاث قبيلة واحدة في الأصل . بدليل ان أهل الأخبار يذكرون ان هزان اليمانية الأصل كانت تقيم في اليمامة ، وان هزان (معدّ) هم من أهل اليمامة أيضاً ، أي ان مواطن القبيلتين واحدة ، بل ان منهم من يرجع مواطن هزان الأولى الى اليمامة كذلك . وهذا ما يحملنا على القول إن الهزانيين كلهم من قبيلة واحدة ، بقيت فروعها في مواطنها القديمة اليمامة حتى اليوم . ولا قيمة لما يرويه أهل الأنساب من سرد نسب كل قبيلة من القبائل الثلاث الى العرب البائدة أو الى العرب العاربة أو الى العرب المستعربة .

والظاهر ان (بني حنيفة) ضغطوا على الهزانيين ، فاغتصبوا معظم أرضهم باليمامة ، فتقلّ بذلك شأنهم ، وصاروا دون (بني حنيفه) في القوة . ومن (بني هزان) تزوج الأعشى ، ثم أكرهوه على تطليقها ، فطلقها حين ضربوه ، وأصروا عليه بلزوم تخليه عنها ففعل ، فقال في ذلك شعراً ، رواه الرواة .

---

١ البلاذري ، فتوح (٩٨) ، الاشتقاق (٢١٠) .
٢ البكري ، معجم (٤/٨٥ وما بعدها) .
٣ الاكليل (١/٧٣ وما بعدها) .
٤ العرب ، الجزء السابع ، السنة الثالثة ، نيسان ١٩٦٩م . الرياض .

ومنهم نفر أسروا (الحارث بن ظالم المرّيّ) ، ولم يكونوا يعرفونه ، وظنوه صعلوكاً ، ثم باعوه الى نفر من القيسيين بزق خمر وشاة ، وقيل من بني سعد . ومنهم كان قاتل حيان بن عتبة بن جعفر بن كلاب . وهو المعروف بصاحب الرداع [1] .

ومن مواطن (هزان) العلاة ، وهو جبل من جبال اليمامة ، وبرك ، ونعام ، وشهوان ، وماوان ، والمجازة . ويلاحظ ان أخلاطاً من قبائل أخرى جاورت (بني هزان) ، وسكنت معهم . منهم (بنو جرم) و (بنو جشم) ، و (الحارث بن لؤي بن غالب بن فهر) من قريش ، و (ربيعة) وهم من اليمن [2] .

وأما منازل طيء عند ظهور الاسلام فجبلا طيء : أجأ وسلمى . غير ان هناك بطوناً من طيء كانت قد انتشرت في أماكن أخرى ، فنزلت في العراق وفي بلاد الشأم وفي أماكن أخرى في جزيرة العرب .

وطيء من القبائل التي كان لها شأن كبير قبل الاسلام . ولعلّها كانت من أشهرها وأعرفها قبيل الميلاد وفي القرون الأولى للميلاد . بدليل اطلاق السريان كلمة (طيايا) على كل العرب ، من أي قبيلة كانوا . أي انها استعملت عندهم بمعنى (عرب) ، وأصلها من اسم القبيلة التي نتحدث عنها وهي قبيلة (طيء) .

ولم تكن طيء متصافية فيما بينها متحابة ، فوقعت بين عشائرها حروب ، حتى تداخل (الحارث بن جبلة) الغساني فيما بينها ، فأصلح حالها ، فلما هلك عادت الى حربها ، فالتقت جديلة وغوث بموضع تحاربت فيه ، قتل فيه قائد بني جديلة ، وهو أسيع بن عمرو بن لأم ، وأخذ رجل من سنبس أذنيه فخصف بهما نعليه ، فعظم ما صنعت الغوث على أوس بن خالد بن لأم ، وعزم على لقاء الغوث بنفسه ، وحلف ألا يرجع عن طيء حتى ينزل معها جبليها أجأ وسلمى ، وتجبى له أهلها ، وكان لم يشهد الحروب المتقدمة ، لا هو ولا أحد من رؤساء طيء ، كحاتم ، وزيد الخيل ، وغيرهم من الرؤساء . فلما اقبلت جديلة وعلى

---

١ الاشتقاق (٣٢١) ، العرب ، نيسان (١٩٦٩م) (ص ٦٦٥ وما بعدها) .
٢ العرب ، نيسان ١٩٦٩م (٢٦٢ وما بعدها) .

رأسها أوس بن حارثة بن لأم ، وبلغ الغوث جمع أوسٍ لها ، اوقدت ناراً على ذروة أجأ ، وذلك في اول يوم توقد فيه النار ، فأقبلت قبائل الغوث ، كل قبيلة وعليها رئيسها ، ومنهم زيد الخيل ، وحاتم ، وتلاحمت بجديلة في يوم اليحاميم ويعرف ايضاً بقارات حوق ، الذي انتهى بهزيمة منكرة حلت بجديلة ، فلم تبق لها بقية للحرب ، فدخلت بلاد كلب ، وحالفتهم وأقامت معهم .[1]

وكان سيد طيء في ايام الرسول ، (زيد الخيل بن مهلهل الطائي) .[2] وهو ممن قدم على الرسول في وفد طيء . وقد قطع له الرسول فيداً وأرضين معه ، وكتب له بذلك ، ولكنه توفي في موضع يقال له (فردة) من بلاد نجد من حمى علقت به اثناء اقامته بيثرب ، فلما يبلغ مكانه .[3] وقد مدحه الرسول وأثنى عليه .[4] و (زيد الخيل) الذي سمّاه الرسول (زيد الخير) ، هو من (بني نبهان) من (طيء) . وكان في الوفد رجال آخرون منهم : (وزر بن جابر ابن سدوس) من (بني نبهان) ، و (قبيصة بن الاسود بن عامر) من (جرم طيء) ، و (مالك بن عبد الله بن خيبري) من (بني معن) ، و (قُعين ابن خليف بن جديلة) .[5]

ومن (طيء) الرجل الذي ضرب بجوده المثل ، والذي لا زال الناس يذكرون اسمه على انه المثـــل الأعلى في الكرم ، وهو (حاتم الطائي) . مقري الضيوف ومغيث الفقراء . فمدحه لجوده الشعراء : عبيد بن الابرص والنابغة الذبياني وبشر ابن ابي حازم وغيرهم . وكان مضربه ملجأ للمحتاجين ولمن يسلك الطريق يريد (الحيرة) . ونظراً لجوده وكرمه هابته العرب وصارت له دالة ومكانة عند ملوك الحيرة وعند آل غسان .[6] وذكر انه (اذا أسر اطلق . ومرّ في سفره على عنزة وفيهم اسير ، فاستغاث به الأسير ، ولم يحضره فكاكـــه فاشتراه من العنزيين ،

١ ابن الأثير (١/٣٨٨) أيام العرب (٦٠) .
٢ المحبر (ص ٢٣٣) .
٣ الطبري (٣/١٤٥) .
٤ الاشتقاق (٢٣٦) ، الطبري (٣/١٤٥) ، (قدوم زيد الخيل في وفد طيء) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٣٢١ وما بعدها) .
٦ الأغاني (١٦/٩٣ وما بعدها ، ١٠٤ وما بعدها) ، العقد الفريد (١/٣٣٢) (طبعة اللجنة) .

وأقام مكانه في القدّ حتى أدي فداؤه . [1]

وقد توفي (حاتم الطائي) قبل الاسلام ، وانتقلت رئاسة طيء منه الى ابنه (عدي بن حاتم طيء) ، وكان نصرانياً يسير في قومه بالمرباع ، وكان بمثابة الملك فيهم ، فلما جاءت خيل الرسول سنة تسع بلاد طيء ، فرر اللحوق بأهل دينه من النصارى بالشام ، ثم ترك الشام ولحق بالمدينة فأسلم وأكرمه الرسول . [2] وعينه الرسول على صدقة طيء وأسد . [3]

وذكر ان (عمرو بن المسيح بن كعب بن عمرو بن عصر بن غنم) ، الذي كان ارمى العرب ، وهو الذي ذكره (امرؤ القيس) في شعره وأشار اليه ، هو من (طيء) ، كان قد ادرك الرسول ، ووفد عليه . [4]

وقد وقع بين طيء نزاع ادى الى وقوع حروب وأيام بينها ، ومن بينها يوم عرف بـ (يوم اليحاميم) . وقد كان (الحارث بن جبلة الغساني) قد اصلح بين قبائلها ، فلما هلك عادت الى حروبها . فالتقت جديلة والغوث ، فقتل (اسبع ابن عمرو بن لأم) ، وهو من جديلة وقائدها ، قتل في موضع يقال له (غرثان) ، وأخذ رجل من (سنبس) اذنيه فخصف بهما نعليه ، فغضبت (بنو جديلة) ، واقسم (اوس بن خالد بن لأم) على الانتقام من (الغوث) ومنهم (بنو سنبس) ، وأخذ في حشد قومه (جديلة) ، وبلغ الغوث ذلك ، فأوقدت النار على (اجأ) ، فأقبلت قبائل الغوث ، وعلى رأسها ساداتها ومنهم (زيد الخيل) و (حاتم الطائي) ، ووقع القتال بين جديلة والغوث في موضع يقال له (قارات حوق) ، فانهزمت جديلة ، وقتل فيها ابرح القتل ، حتى لم تبق لها بقية للحرب ، فدخلت بلاد كلب وحالفوا كلباً واقاموا معهم . وعرف هذا اليوم بـ (يوم اليحاميم) . [5]

وكتب الرسول كتباً الى جماعة من (طيء) . منهم (بنو معاوية بن جرول) ،

---

١ الشعر والشعراء (ص ١٢٣) .

٢ الطبري (١١٢/٣ وما بعدها) ، (دار المعارف) ، نهاية الأرب (٧٧/١٨ وما بعدها) .

٣ الطبري (١٤٧/٣) ، (خروج الأمراء والعمال على الصدقات) ، ابن سعد ، طبقات (٣٢٢/١) (وفادات أهل اليمن : وفد طيء) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٣٢٢/١ وما بعدها) .

٥ ابن الأثير ، الكامل (٢٦٦/١) .

و (عامر بن الأسود بن عامر بن جوين الطائي) ، وجماعة من (بني جوين) ، و (لبني معن) الطائيين . [1]

وتقع الى الشرق من ديار (طيء) منازل (اسد) . والى الشمال من ديار اسد منازل (بكر) ، واما الى الجنوب من منازل (اسد) فديار (هوازن) و (غطفان) . وتتاخم ديار اسد من الشرق قبائل (عبد القيس) و (تميم) .

ولما اخذت الوفود تترى على المدينة لمبايعة الرسول والدخول في الاسلام ، كان وفد (اسد) في جملة الوفود التي بايعت الرسول ودخلت في الاسلام،وذلك سنة تسع للهجرة. وكان فيه (حضرمي بن عامر) و (ضرار بن الأزور) و (وابصة ابن معبد) و (قتادة بن القايف) و (سلمة بن حبيش) و (طلحة بن خويلد) و (نقادة بن عبد الله بن خلف) ، ومعهم قوم من (بني الزنيّة) وهم من (مالك بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن اسد) . [2]

وكتب رسول الله كتـاباً الى (بني اسد) كتبه له (خالد بن سعيد) ، ورد فيه : (الا يقربن مياه طيء وارضهم فانه لا تحل لهم مياههم ولا يلجن ارضهم من اولجوا . وأمّر عليهم (قضاعي بن عمرو) وهو من (بني علذ) ، بأن جعله عاملاً عليهم . [3] وكتب الرسول الى (حصين بن نضلة الأسدي) (ان له اراما وكسّة ، لا يحاقه فيها احد) . [4]

ومن ديار (بني اسد بن خزيمة) ، (قطن) ، وهو جبل بناحية (فيد) به ماء . وأمر الرسول (ابا سلمة بن عبد الاسد المخزومي) بغزوه ، لما بلغه ان (طليحة) و (سلمة) ابني (خويلد) قـد سارا في قومهما ومن اطاعهما يدعوانهم الى حرب الرسول ، فذهب الى (قطن) ، ثم عاد ، ومعه إبلٌ وشاء . [5]

وتقع الى الشمال الغربي من ديار (طيء) ، ديار (بكر) ، وهي (بكر ابن وائل) . وهي قبائل ضخمة ذات فروع عديدة ، سكنت في مواضع عديدة اخرى غير هذه المواضع .

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦٩) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٩٢ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٨/٣١) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٠) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٤) .
٥ نهاية الأرب (١٧/١٢٧ وما بعدها) .

وذكر في خبر فتوح السواد ، ان (المثنى بن حارثة الشيباني) كان يغير على السواد ، فبلغ (أبا بكر) خبره ، فسأل عنه ، فقال له قيس بن عاصم بن سنان المنقري : هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، وأثنى عليه . ثم ان المثنى قدم على (ابي بكر) ، فقال له : يا خليفة رسول الله، استعملني على من اسلم من قومي اقاتل هذه الأعاجم من اهل فارس ، فكتب له ابو بكر في ذلك عهداً ، فسار حتى نزل (خفان) ودعا فيه الى الاسلام فأسلموا . ثم ان ابا بكر امر (خالد بن الوليد) بالمسير الى العراق ، وكتب الى (المثنى بن حارثة) يأمره بالسمع والطاعة له وتلقيه . وكان (مذعور بن عدي العجلي) ، قد كتب الى ابي بكر يعلمه حاله وحال قومه ويسأله توليته قتال الفرس ، فكتب اليه يأمره ان ينضم الى خالد ويسمع له بالطاعة . [1]

و (خفان) [2] مأسدة وموضع أشبّ الغياض كثير الأسد ، أو اجمة قرب (الكوفة) . [3]

ونجد في موارد اخرى ان (المثنى بن حارثة الشيباني) و (سويد بن قطبة العجلي) ، وكلاهما من (بكر بن وائل) كانا يغيران على الدهاقين ، فيأخذان ما قدرا عليه . فاذا طُلبا امعنا في البَرّ فلا يتبعهما احد ، وكان المثنى يغير من ناحية الحيرة ، و (سويد) من ناحية (الأبلة) . فكتب الى (ابي بكر) ، يعلمه ضراوته بفارس ويعرفه وهنهم ، ويسأله ان يمدّه بجيش ، فكتب اليه (ابو بكر) يخبره انه مرسل اليه (خالد بن الوليد) وان يكون في طاعته ، فكره (المثنى) ورود خالد عليه ، وكان ظن ان ابا بكر سيوليه الأمر ، ولكنه لم يتمكن ان يفعل شيئاً فانضم الى خالد . [4]

ومن (بني عجل) (فرات بن حيّان للعجلي) ، كان دليل (ابي سفيان)

١ البلاذري ، فتوح (٢٤٢) .
٢ (وخفان كعفان) بتشديد الفاء ، تاج العروس (٩٣/٦) ، (خف) .
٣ قال الأعشى :
وما مخدر ورد عليه مهابة أبو أشبل أضحى بخفان حاردا
تاج العروس (٩٣/٦) ، اللسان (٨١/٩) ، (خفف) .
٤ الأخبار الطوال (١١١ وما بعدها) .

الى الشام . [1] وذلك ان قريشاً خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكون الى الشام حين وقعة (بدر) ، فكانوا يسلكون طريق العراق ، فخرج بهم دليلهم (فرات) ، في السنة الثالثة من الهجرة ، ومعه ابو سفيان وصفوان بن امية ، وحويطب بن عبد العُزّى ، وعبد الله بن ابي ربيعة ، ومعهم مال كثير ، فيه فضة كثيرة ، وهي اعظم تجارتهم ، فلما بلغوا موضع (القردة) ، وكان (فرات) قد سلك بهم على ذات عرق ، اعترض (زيد بن حارثة) القافلة ، وكان الرسول قد ارسله للتحرش بها ، يوم بلغه امر القافلة ، فهرب اعيانها واستولى زيد على العير ، وجاء بها الى الرسول . وأسر فرات ، فأسلم . [2]

ويذكر اهل الاخبار ان قبائل مضر كانت تنزع الى العراق ، وكان اهل اليمن ينزعون الى الشام . وانه لم يكن احد من العرب اجرأ على فارس من ربيعة وقد قيل لها لذلك : ربيعة الأسد ، وكانت العرب في جاهليتها تسمى : فارسُ الاسد . [3]

وقد قدم وفد من (بكر بن وائل) على الرسول ، فيه (بشير بن الخصاصية) و (عبد الله بن مرثد) ، و (حسّان بن حوط ، (خوط) ، فأسلموا وعادوا الى ديارهم . [4] وذهب (حريث بن حسان الشيباني) في وفد من (بكر بن وائل) الى الرسول ، فأسلم على يديه . [5] وذكر ان (عبد الله بن اسود بن شهاب بن عوف بن عمرو بن الحارث بن سدوس) ، قدم مع الوفد المذكور ، وكان ينزل اليمامة ، فباع ما كان له من مال باليمامة واستقر بالمدينة . [6]

وذكر ان رسول الله كتب كتاباً الى (بكر بن وائل) ، فما وجدوا رجلاً يقرؤه حتى جاءهم رجل من (بني صبيعة بن ربيعة) فقرأه . وكان الذي اتاهم بكتاب رسول الله : (ظبيان بن مرثد السدوسي) . [7]

وخرج (خالد) الى العراق ، فمرّ بـ (فيد) و (الثعلبية) وأماكن اخرى

---

١ الاشتقاق (ص ٢٠٨) .
٢ نهاية الأرب (٨٠/٩٧) .
٣ الطبري (٤٨٧/٣) ، (دار المعارف) .
٤ طبقات ابن سعد (٣١٥/١) .
٥ طبقات ابن سعد (٣١٨/١ وما بعدها) .
٦ نهاية الأرب (٦٧/١٨) .
٧ ابن سعد ، طبقات (٨١/١ ، وما بعدها) .

منها (العذيب) و (خفان) ، ثم سار قاصداً (الحيرة) وهي اهم موضع للعرب في العراق . فخرج اليه ساداتها في هذا الوقت : (عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن حيّان بن بقيلة) ، وهو من الأزد ، وصاحب القصر الذي يقال له : (قصر بني بقيلة) بالحيرة . وهو من (بني سبين) . وكان من المعمرين . [1] و (هانيء بن قبيصة بن مسعود الشيباني) ، ويقال (فروة بن اياس) . وكان (اياس) عامل كسرى ابرويز على الحيرة ، بعد النعمان بن المنذر ، و (عدي ابن عدي بن زيد العبادي) ، وأخوه (عمرو بن عدي) ، و (عمرو بن عبد المسيح) و (حيرى بن أكّال) ، وهم نقباء اهل الحيرة . فصالحوه على دفع الجزية وعلى ان يكونوا عيوناً للمسلمين على اهل فارس . [2]

وفيد موضع مهم بطريق مكة في نصفها من الكوفة ، به حصن عليه باب حديد ، وعليه سور دائر . كان الناس يودعون فيه فواضل ازوادهم وما ثقل من امتعتهم الى حين رجوعهم . وذكر ان فيداً فلاة في الارض بين أسد وطيء في الجاهلية . فلما قدم (زيد الخيل) الفارس المشهور على رسول الله اقطعه فيداً . وذكر اهل الاخبار ، ان فيداً ، انما سميت فيد بفيد بن حسام اول من نزلها . والظاهر انها من المواضع القديمة وقد ورد اسمها في الشعر الجاهلي والاسلامي . [3]

و (العذيب) ، اذ ذاك مسلحة كانت للفرس على طريق البادية ، ومن القادسية التي تبعد عن الكوفة (١٥) ميلاً الى العذيب (٦) اميال ، ويؤدي الطريق من العذيب الى البرية . [4] وكان لبني تميم . [5] وذكر اهل الاخبار ان (محلم بن سويط الضبي) أخا بني صباع ، قاد الرباب كلها . وهو الرئيس الأول : اول من سار في ارض مضر برئاسة ، وغزا العراق وبه كسرى حتى بلغ العذيب . فجعلت الإبل تتهيب خرير الماء . ويظهر من شعر لبعض الضبّيين ان العذيب كان احساءاً ، يخرج الماء فيه من باطن الارض ويندفع مكوّناً خريراً ،

١ الاشتقاق (٢٨٥) ، الطبري (٣/٣٤٥ ، ٣٦٤) ، (دار المعارف) ، البلاذري ، فتوح (٢٤٤) .
٢ البلاذري ، فتوح (٢٤٤) ، الطبري (٣/٣٦٤) ، (دار المعارف) .
٣ تاج العروس (٢/٤٥٧) ، (فاد) .
٤ ابن رسته ، الأعلاق (١٧٥) .
٥ تاج العروس (١/٣٧٠) ، (عذب) .

لذلك هابته الإبل ، فكانت تتخوف من الشرب منه . [1] وبعد العذيب ، نهاية حدّ نجد في الشمال . [2]

ويذكر (ابن رسته) ان (البطانية) ، هو (قبر العبادي) [3] ، وسمّاه بعضهم (بطان) . وذكر (اليعقوبي) ان هذا الموضع من ديار (بني اسد) . [4]

وكان للثعلبية شأن يذكر ، فقد ذكر انها كانت موضعاً معروفاً ، بل ذكر انها مدينة عامرة عليها سور وفيها حمامات وسوق ، وهي على ثلث الطريق للقادم من بغداد الى مكة . وقد صار لها شأن في صدر الاسلام فما بعد ، لأنها تقع على طريق التجـارة والحاج . وهي على جادة مكة من الكوفة ، ومن منازل اسد ابن خزيمة . [5]

وكان اهل الحيرة قد تحصنوا بقصورهم : في القصر الابيض ، وهو قصر (النعمان بن المنذر) وقصر ابن بقيلة ، قصر العدسيين ، والعدسيون من (كلب) نسبوا الى امهم ، وهي كلبية ايضاً . [6] وذكر انه كان في طرف الحيرة ، لبني عمار بن عبد المسيح بن قيس بن حرملة بن علقمة بن عدس الكلبي ، نسبوا الى جدّتهم (عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي) ، وهي (أم الرماح) و (المشظ) ابني عامر المذمم . [7]

وعدة قصور الحيرة ثلاثة على ما ورد في بعض الروايات . وهي عدة الحيرة وملاجئها ايام الخطر ، فاذا سقطت ، سقطت الحيرة ، لأنها هي المكونة لها . وقد صالحت (خالد بن الوليد) لما وجدته ان ليس في استطاعتها الصمود امام المسلمين . [8] ولم يكن لها على ما يظهر من روايات اهل الاخبار سور .

ومن مواضع الحيرة ، (ربيعة بني مازن) ، لقوم من الأزد من بني عمرو

---

١ المحبـر (٢٤٨) .
٢ شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (٨١) .
٣ ابن رستة ، الاعلاق (١٧٥) .
٤ اليعقوبي ، البلدان (٣١١) .
٥ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٥) ، اليعقوبي ، البلدان (٣١١) .
٦ البلاذري ، فتوح (٢٤٥) .
٧ البلاذري ، فتوح (٢٨٤) .
٨ الاخبار الطوال (١١٢) ، تاج العروس (٣/١٦٥) (حارة) .

ابن مازن من الأزد ، وهم من غسان . [1] و (دير هند) ، لأم (عمرو بن هند بن ماء السماء) ، و (ربيعة بني عدي بن الدميل) من لخم . [2]

وقد هدمت قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر واستخدمت حجارتها وأنقاضها لبناء المسجد الجامع بالكوفة ولأبنية اخرى ، وقد عوض اصحاب القصور عنها . وفقاً لما جاء في (قراطيس هدم قصور الحيرة) . [3] وقد هدم بعض الخلفاء العباسيين قصور الحيرة وأزالوا بذلك من معالمها . منهم الخليفة (ابو جعفر المنصور) ، فقد هدم (الزوراء) ، وهي دار بناها النعمان بن المنذر على ما يذكره اهل الاخبار . [4]

وذكر (اليعقوبي) ان الحيرة (هي منازل آل بقيلة وغيرهم) ، وان علية اهل الحيرة نصارى ، منهم من قبائل العرب من بني تميم ومن (سليم) ومن (طيء) وغيرهم . وان (الخورنق) بالقرب منها مما يلي المشرق ، وبينه وبين الحيرة ثلاثة اميال ، والسدير في برية . [5]

وكان الفرس يستعينون بعرب الحيرة في امر الترجمة فيما بينهم وبين العرب . ومن هؤلاء أسرة (عدي بن زيد العبادي) على نحو ما ذكرت . وترجمان كان يترجم لـ (رستم) اسمه (عبود) . وكان عربياً من اهل الحيرة . [6] كما استخدم المسلمون تراجمة ، ليترجموا ما كان يدور بينهم وبين الفرس من حوار ، او بينهم وبين من يقبضون عليه من اسرى الفرس ، من هؤلاء رجل اسمه (هلال الهجري) . واستخدموا كتبة لكتابة الكتب والاخبار ، ذكروا منهم (زياد بن ابي سفيان) . [7]

وقد استعان الفرس ببعض (آل لخم) لمحاربة العرب ولاشغالهم ، في معارك

---

١ البلاذري ، فتوح (٢٨٠) .
٢ البلاذري ، فتوح (٢٨٢) .
٣ البلاذري ، فتوح (٢٨٤) .
٤ تاج العروس (٣/٢٤٦) ، (زار) .
٥ البلدان (٣٠٩) ، (مع ابن رسته) ، تاج العروس (٣/٢٦١) ، (سدر) . (٦/٣٣٢) ،
٦ الطبري (٣/٥٢٤) .
٧ الطبري (٣/٤٨٩) .

صغيرة ، من هؤلاء (قابوس بن قابوس بن المنذر) ، وقد كلفه (الآزاذبة مرد بن الآزاذبة) بالذهاب الى (القادسية) لاشغال المسلمين ، وأن يكون للفرس كما كان آباؤه قبله من النصر والعون ، فنزل القادسية ، وكاتب بكر بن وائل ، بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به ، فلما بلغ خبره المسلمون حاصروه . [1]

والقادسية موضع مهم جداً من الوجهة العسكرية ، وقد قال عنه الخليفة (عمر) في كتابه الذي وجهه الى (سعد) بأنه (باب فارس) وأجمع ابوابهم لمادتهم . [2] وقد وضعوا ما بعده الحصون والقناطر والانهار لحماية مواقعهم من وقوعها في ايدي من قد يأتي اليهم من البادية . وأهله من العرب ، وكان الفرس قد اقاموا فيه مسالح عبئت بجنود من فارس ، للدفاع عن خطوطهم الامامية ، ولمشاغلة الغزاة الى حين وصول المدد الكبير .

وممن ساعد الفرس ودافع عنهم (النعمان بن قبيصة) ، وهو ابن (حيّة الطائي) ابن عم (قبيصة بن اياس بن حيّة الطائي) صاحب الحيرة ، وكان مرابطاً في قصر (بني مقاتل) ، وكان منظرة له . وقد قتله (سعد بن عبد الله بن سنان الأسدي) لما سمعه يستخف بقريش وبالقريشيين . فلما سأل عن (سعد بن ابي وقاص) ، وقيل له انه من قريش ، قال : (اما اذا كان قرشيّاً فليس بشيء ، والله لأجاهدنه القتال ، انما قريش عبيد من غلب ، والله ما يمنعون خفيراً ، ولا يخرجون من بلادهم الا بخفير) . [3]

ونجد في (فتوح الشام) للواقدي ، خبراً مفاده ان (سعد بن ابي وقاص) لما وجهه الخليفة (عمر) الى العراق قدم ارض (الرحبة) ، فاتصلت الاخبار بـ (اليعمور بن ميسرة العبسي) ، فكتب الى كسرى يخبره بمجيئه الى هذا المكان ، وان (سعداً) لما ارتحل من (الرحبة) الى (الحيرة البيضاء) في ثلاثين ألفاً من بجيلة والنخع وشيبان وربيعة واخلاط العرب ، وجد هناك جيش (النعمان بن المنذر) ، وقد ضرب خيامه والسرادقات الى ظاهرها ، وهو في ثمانين ألفاً من جميع عرب العراق ، فكتب (النعمان) الى (كسرى) بمجيئهم

---

١ الطبرى (٣/٤٨٩) .
٢ الطبرى (٣/٤٩١) .
٣ الطبري (٣/٥٧٢ وما بعدها) .

وحثّ عربه على الصمود وعلى مقاومة سعد قائلاً لهم : (إن هؤلاء عرب وأنتم عرب وهلاك كل شيء من جنسه) (وليس لأصحاب محمد فخر يفتخرون به علينا ، ولكن نحن لنا الفخر عليهم . وهم يزعمون ان الله بعث فيهم نبيّاً وأنزل عليهم كتاباً يقال له القرآن ، ونحن لنا الإنجيل وعيسى بن مريم ، وجميع الحواريين ، ولنا المذبح ، ولنا القسوس والرهبان والشمامسة ، وعلى كل حال ديننا عتيق ودينهم محدث ، فاثبتوا عند اللقاء وكونوا عند ظن الملك كسرى بكم) [1] .

ويذكر رواة هذا الخبر ان عم (النعمان بن المنذر) ، وكان صاحب حرسه ، دخل اليه وقال له : إن أعداءنا قد أنفذوا الينا رسولاً ، فأمر بادخاله عليه ، وكان الرسول (سعد بن أبي عبيد القاري) ، فلما وقف بين يدي النعمان صاح به الحجاب والغلمان : قبّل الأرض للملك فلم يلتفت اليهم ، وقال : إن الله أمرنا ان لا يسجد بعضنا لبعض . ولعمري إن هذه كانت العادة المعروفة في الجاهلية قبل ان يبعث الله نبيّه محمداً ، فلما بعث جعل تحيته السلام ، وكذا كانت الأنبياء من قبله . وأما السلام ، فهو من أسماء الله تعالى ، وأما تحيتكم هذه ، فهي تحية جبابرة الملوك . فقال النعمان : لسنا من الجبابرة ، بل نحن أجلّ منكم ، لأنكم توحدون في دينكم وتقولون إن الله واحد وتجحدون ولده عيسى بن مريم) . ويذكرون ان (سعداً) جادل (النعمان) في طبيعة (المسيح) ، فأعجب بكلامه . ثم كلمه في الاسلام أو دفع الجزية ، فغضب (النعمان) ، وقال له : (يا ويح قومك ، فليس عندنا جواب إلا السيف) [2] .

وتقدمت جيوش المسلمين حتى التحمت بجيش (النعمان) بظاهر الحيرة ، وان (القعقاع بن عمرو التميمي) أو (بشر بن ربيعة التميمي) ، أحدهما التقى بالنعمان في كبكبة من الخيل والازدهارات على رأسه ، فحمل القعقاع أو بشر على الكبكبة ففرقها ، وعلى الكتيبة فمزّقها وعلى النعمان بطعنة في صدره فقتل . فلما نظرت جيوش الحيرة الى الملك النعمان مجندلا ولوا الادبار يريدون القادسية نحو جيش الفرس . وأخذ المسلمون أسرى وغنائم ، واحتوى (سعد) على قصر الخورنق والسدير ، وترك جميع ما أخذه بالحيرة . وتحرك نحو القادسية . وكانت أخبار هزيمة النعمان

---

١ الواقدي ، فتوح الشام (٢/١٨٥ وما بعدها) .
٢ الواقدي ، فتوح الشام (٢/١٨٦) .

قد وصلت الفرس وهم بالقادسية ، وقد وصلت اليهم الفلول المنهزمة من جيش النعمان ، فوقع التشويش في عسكر الفرس ، وخارت قواهم ، مما أدى الى انتصار المسلمين عليهم في هذا المكان[1] .

ولا نجد هذا الخبر في أيّ مورد آخر من موارد أهل الأخبار ، فقد نصت جميع الموارد الأخرى على ان النعمان كان قد لقي مصرعه على نحو مـا تحدثت عنه في أثناء كلامي على مملكة الحيرة . فلعل (النعمان) هذا هو أحد أبناء (آل لخم)، واستعان به الفرس للدفاع عن الحيرة ومنّوه في مقابل مساعدته لهم بالملك ، كما استعانوا بـ (قابوس بن قابوس) . وقد يكون خبره من صنع أهل الأخبار ، أقحموا اسمه إقحاماً ، وما فطنوا الى انه كان قد توفي قبل هذا الوقت بسنين ، على كل ففي الخبر كلام منمق وحوار وجدل ينبئك لونه ان فيه تكلفـاً وصنعة ، وان الخبر قد وضع وضعه أناس ، لغايات لا مجال للبحث عنها في هذا المكان .

وسار (خالد) من (الحيرة) الى الأنبار ، فحاصرهـا ، وكان أصحاب النعمان وصنائعه يعطون أرزاقهم منها ، ثم صالحهم ، ثم أتى (خالد) بعـد مواقع أخرى (عين التمر)[2] .

وكان على رأس العرب الذين عاونوا الفرس وانحازوا اليهم : (عقة بن أبـي عقة) و (هلال بن عقة بن قيس بن البشر) الثمري ، على النمر بن قاسط بعين التمر ، و (عمرو بن الصعق) و (بجير) أحد بني عتبة بن سـعد بن زهير ، والهذيل بن عمران ، ومعهم رجال من قبائلهم[3] . ولكنهم لم يتمكنوا من الوقوف أمـام (خالد بن الوليد) ، إذْ انهزم جندهـم ، وأُسرَ (عقـة) و (عمرو بن الصعق) ، وكان (عقـة) خفير القوم ، وسقط حصن عين التمر في الاسلام[4] . وورد في خبر آخر ان (خالد) قتل (هلال بن عقة) (هلال بن عقبة) ، وصلبه . وكان من (النمر بن قاسط) ، وكان خفيراً بعين التمر[5] .

---

١ الواقدى ، فتوح الشام (١٨٧/٢ وما بعدها) .
٢ البلاذري ، فتوح (٢٤٦ وما بعدها)
٣ البلاذرى ، فتوح (٢٤٩) .
٤ الطبري (٣٧٦/٣ وما بعدها) .
٥ الاخبار الطوال (١١٢) .

وتعرف (عين التمر) بـ (شفاثا) (شفاثى) وبـ (عين شفته) ، وقد اشتهرت بالقسب والتمر ، وكانت تصدرهما الى البادية والى أماكن أخرى ، ويقصدها الأعراب للامتيار . وبها حصن يتحصن به وعين ماء . ولما اقترب المسلمون منها ، كان بها (مهران بن بهرام جوبين) في جمع عظيم من الفرس للدفاع عنهـا ومعه جمع عظيم من النمر وتغلب واياد ومن لافّهم ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، وفر الفرس [1] . وكان بعين التمر مسلحة لأهل فارس [2] .

وقد وجد (خالد) في كنيسة (عين التمر) جماعة سباهم ، ووجد أولاداً كانوا يتعلمون الكتابة في الكنيسة ، وقـد اشتهر وعرف عدد من هؤلاء الذين سبوا ، واشتهر أولادهم أيضاً . وقد كان من هؤلاء من كان من (بني النمر ابن قاسط) النازلين بعين التمر [3] .

وكانت قُريّات السواد وهي : بانقيا وباروسما وأُلّيس خليط من العرب ومن النبط وسواد العراق ، وقد صالح أهلها (خالد بن الوليد) حينما ظهر أمامها ، صالحوه على الجزية ، وكان الذي صالحه عليها (ابن صلوبا السوادي) المعروف بـ (بصبرى بن صلوبا) ، ومنزله بشاطىء الفرات . وقد ورد في كتاب الصلح الذي أعطاه (خالد بن الوليد) له ، (وقد أعطيتَ عن نفسك وعن أهـل خرجك وجزيرتك ومن كان في قريتك — بانقيا وباروسما — ألف درهم) [4] .

وذكر (البلاذري) ان الخليفة (عمر) وَجّـهَ (أبا عبيدة الثقفي) الى العراق ، فلما وصل الى هناك ، وهزم (جابان) بالعذيب ، ثم هزم الفرس في معارك أخرى ، حتى بلغ (باروسما) ، صالحه (ابن الأنذر زعر) (ابن الأندر زعر) عن كل رأس على أربعة دراهم [5] . ولم يشر الى الصلة التي كانت بين (ابن صلوبا) و (ابن الأنذر) .

ويرجع أهل الأخبار تأريخ (بانقيا) الى أيام (ابراهيم) ، فهم يذكرون

١ الطبري (٣/٣٧٦) ، (دار المعارف بمصر) .
٢ الاخبار الطوال (١١٢) .
٣ البلاذري ، فتوح (٢٤٩) ، تأريخ خليفة بن خياط (١/٨٦) .
٤ الطبري (٣/٣٤٤ ، ٣٤٦) .
٥ البلاذري ، فتوح (٢٥١) ، تأريخ خليفة (٩٢) .

انه كان ينزل بها . وان اليهود كانوا يدفنون موتاهم بها . ويذكرون انها أرض بالنجف دون الكوفة ، وان سكانها كانوا على النصرانية عند ظهور الاسلام . وان الساسانيين كانوا هم الذين يدافعون عنها ويتولون أمر إدارتها ، أما شؤونها المحلية فكان أمرها بيد ساداتها ورؤسائها[1] .

وكانت عشائر (إياد) من العشائر التي نزحت الى العراق قبل الاسلام بوقت طويل . نزل بعضهم بـ (عين أبّاغ) ونزل بعض منهم بسنداد . فأمروا هناك ، وكثروا ، واتخذوا بسنداد بيتاً ذا شرفات تعبّدوا له . ثم انتشروا ، وغلبوا على ما يلي الحيرة . وصار لهم (الخورنق) و (السدير) . فلهم (أقساس مالك) . وهو مالك بن قيس بن زهر بن إياد . ولهم دير الأعور ، ودير السواء ، ودير قرة ، ودير الجماجم . وإنما سُمّي دير الجماجم لأنه كان بين إياد وبهراء القين حرب ، فقتل فيها من إياد خلق ، فلما انقضت الحرب ، دفنوا قتلاهم عند الدير . فكان الناس بعد ذلك يحفرون فتظهر جماجم . فسمي دير الجماجم[2] . وقيل غير ذلك ، مما لا مجال لذكره في هذا الموضع .

وكانت إياد تغير على السواد وتفسد . فجعل (سابور) ذو الأكتاب مسالح بالأنبار وعين التمر وغير هاتين الناحيتين . لحماية الحدود منهم . ثم ان إياداً أغارت على السواد في ملك كسرى أنوشروان ، فوجه اليهم جيوشاً كثيفة . فخرجوا هاربين ، واتبعوا ، فغرق منهم بشر ، وأتى فُلُّهم (بني تغلب) ، فأقاموا معهم على النصرانية ، فأساءت (بني تغلب) جوارهم ، فصار قوم منهم الى الحيرة ، ودخل منهم في جند ملوك الحيرة ، ولحق جُلّهم بغسّان بالشأم . فلما جاء الاسلام دخل بعضهم بلاد الروم ، ودخل منهم قوم في خثعم وفي تنوخ وفي قبائل أخرى .

ويقال إن مواطن إياد قبل نزوحها الى العراق ، كانت بالبحرين ، واجتمعت عبد القيس والأزد على إياد ، فأخرجوا عن الدار فأتت العراق[3] .

---

١ البلدان (١/٣٣١) (طبعه بيروت) ، البكري ، معجم (١/٢٢١) (طبعة السقا)، اليعقوبي (١/١٣١) ، مراصد الاطلاع (١/١٢٣) .
٢ البلاذرى ، أنساب (١/٢٦) .
٣ البلاذري ، أنساب (١/٢٩) .

وقد وصف (ابن قتيبة) إياداً على هذا النحو : (وكانت إياد أكثر نزار عدداً وأحسنهم وجوهاً وأمدهم وأشدهم ، وأمنعهم . وكانوا لقاحـاً لا يؤدون خرجاً . وهم أول معدّي خرج من تهامة ، ونزلوا السواد وغلبوا على ما بين البحرين الى سنداد والخورنق) . فاصطدموا بالساسانيين لأنهم أغاروا على أموال فأخذوها ، فهزموهم الى الجزيرة ، ووجه اليهم (كسرى) ستين ألفـاً فكتب اليهم (لقيط) يُنبههم . وانتصر عليهم كسرى ، وانقسموا ثلاث فرق . فرقة لحقت بالشأم ، وفرقة أقامت بالجزيرة ، وفرقة رجعت الى السواد[1] .

ولما سار (خالد) من (عين التمر) أتى (صندوداء) وبها قوم من كندة وإياد والعجم . وتركها واتجه نحو جمع من (تغلب) كانوا بـ (المضيح) و (الحصيد) مرتدين عليهم ، (ربيعة بن بجير) ، فأتاهم فقاتلوه فهزمهم . ثم أغار (خالد) على (قراقر) ، وهو ماء لكلب ، ثم فوّز منه الى (سُوى) ، وهو ماء لكلب أيضاً . ومعهم فيه قوم من (بهراء) ، فقتل (حرقوص بن النعمان البهراني) ؛ من (قضاعة) . وكان المسلمون لما انتهوا الى (سوى) وجدوا (حرقوصاً) وجماعة معه يشربون ويتغنون فهجموا عليهم وقتلوا (حرقوصاً) . وخرج خالد من (سوى) الى (الكوائل) ، ثم أتى (قرقيسيا) وانحاز الى البرّ ، وأتى (أركة) (أرك) ، فأغار على أهلها ، وفتحها ، وسار منها نحو (دومـة الجندل)[2] .

وذكر (ابن سعد) ان الرسول كتب الى (نفاثة بن فروة بن الدئلي ملك السماوة)[3] . ولم يشر الى موضع ملكه من بادية السماوة ومقداره في البادية .

وكانت (دومة الجندل) عند ظهور الاسلام في ملك (أكيدر بن عبد الملك الكندي السكوني) . والسكون من كنـدة ، فهو كندي النسب أيضاً . وكان يتنقل في البادية فيصل الى الحيرة والى أرض الغساسنة ، ويقال إنه ملك (دومة الحيرة) ونزل بها قبل جلائه عن (دومـة الجندل) أو بعده على رأي أهـل الأخبار . وكان مثل أكثر رؤساء القبائل في العراق وفي البادية وبلاد الشأم على

---

١ الشعر والشعراء (٩٧ وما بعدها) .
٢ البلاذري ، فتوح (١١٩) ، الواقدي ، فتوح الشأم (١/ ٣٠) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/ ٢٨٤) .

النصرانية ، وله عقود ومعاهدات مع القبائل العربية الشمالية الضاربة في البادية ، تأتي الى مقره في الموسم أيام افتتاح السوق لتمتار ولبيع ما تحمله من تجارات .

وكان لأكيدر بن عبد الملك أخ اسمه (بشر بن عبد الملك) ، يذكر أهل الأخبار انه ذهب الى الحيرة ، وتعلم بها الخط ، ثم رجع الى مكة فتزوج (الصهباء بنت حرب) أخت أبي سفيان[1] .

وقد أرسل الرسول خالد بن الوليد الى دومة الجندل ليفتحها ، فسار خالد على رأس خيل الى (دومة) ، فلما بلغها وجد الأكيدر خارج حصنه يصطاد مع نفر من قومه فيهم أخ له يقال له : حسان ، فهجم رجال خالد على الأكيدر وأسروه ، وقتل حسان ، وأخذ خالد قباء (أكيدر) وكان من ديباج مخوص بالذهب ، وبعث به الى الرسول ليقف عليه المسلمون ، فلما رأوه عجبوا منه وجعلوا (يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله : أتعجبون من هذا . فوالذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا)[2]. وقد زاد عجبهم حين وصل خالد ومعه أسيره (أكيدر) ، فحقن له دمه ، وصالحه الرسول على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع الى قريته[3] .

ويذكر الرواة ان الرسول استقبل خالداً ومعه أسيره (الأكيدر) في المدينة ، فعرض الرسول الاسلام على الأكيدر ، فقبله وحقن الرسول دمه وكتب له كتاباً، وعاد الى (دومة) . فلما قبض النبي منع الصدقة وارتد الى النصرانية ديانته الأولى . وخرج من دومة الجندل فلحق بالحيرة وابتنى بها بناءً على مقربة من (عين التمر) سمّاه (دومة) أو (دومة الجندل) على اسم موضعه ، وسكن هناك . ثم عاد الى (دومة الجندل) ، وتحصن بها ، فأمر (أبو بكر) خالد بن الوليد بالتوجه اليه ، فسار اليه وقتله . أما أخوه (حريث بن عبد الملك) فقد أسلم ، وحقن دمه . وقد تزوج (يزيد بن معاوية) إبنة له[4] .

---

١ جمهرة (ص ٤٠٣ وما بعدها) ، ابن خلدون (٢٥٧/٢) .

٢ الطبري (١٠٨/٣ وما بعدها) (طبعة دار المعارف) ، ابن هشام (٣١٩/٢) ، البلاذري فتوح (٧٢ وما بعدها) .

٣ الطبري (١٠٨/٣) ، البكري ، معجم (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، فتوح البلدان (٢٢٣) الكامل (١٩٢/٢) (المنيرية) ، تاج العروس (٥١٨/٣) . (كدر) .

٤ فتوح البلدان (٢٢٣) ، البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) ، البلاذري ، فتوح (٧٣) ، تاريخ خليفة بن خياط (٥٦/١) ، (تحقيق أكرم ضياء العمري) .

وتذكر رواية أخرى ان (الأكيدر) بعد ان نقض الصلح وعاد الى نصرانيته ، أجلاه (عمر) من (دومة) فيمن أجلى من مخالفي الاسلام الى الحيرة ، فأقام في موضع قرب (عين التمر) ، ابتناه فسمّاه (دومة) وقيل (دوماء) باسم حصنه[1] . وهي رواية لا تتفق مع المشهور بين أهل الأخبار من ان خالداً قتل (الأكيدر) في السنة الثانية عشرة أو السنة الثالثة عشرة من الهجرة ، وذلك في أيام (أبي بكر) بعد ان أمره الخليفة بالتوجه اليه . وهي رواية أقوى من الرواية المتقدمة في نظر المؤرخين .

ويظهر ان أهل (دومة الجندل) كانوا قد سمعوا بخبر مسير (خالد اليهم ، فأرسلوا الى حلفائهم وأحزابهم من بهراء وكلب وغسان وقبائل تنوخ والضجاعم ليساعدوهم في الوقوف أمامه . فأتاهم (وديعة) في (كلب) وبهراء ، وسانده (رومانس بن وبرة بن رومانس) الكلبي ، وجاءهم (ابن الحدرجان) في الضجاعم ، و (جبلة بن الأيهم) في طوائف من غسان وتنوخ . وكذلك (الجودي بن ربيعة الغساني) . وكان من المتزعمين في (دومة) ، وقد احتمى أهل (دومة) بحصنهم وخلف أسوار المدينة ، والتفت حول السور من الخارج نصارى العرب الذين جاؤوا لمساعدة أهلها . وقد تمكن (خالد) يساعده (عياض) من الغلب على أهل المدينة وحلفائهم ، وقتل رؤساءهم ، ودخل المدينة منتصراً ، فغنم جيشه غنائم كثيرة وقُتِلَ من أهلها خلق كثير . وسبى ابنة (الجوديّ) . وكان الأكيدر في جملة القتلى[2] .

وكان الرسول قد غزا (دومة الجندل) بنفسه ، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة الخامسة من الهجرة ، وبلغها ، ولم يلق كيداً . كان سبب غزوه لها ، ان رسول الله أراد ان يدنو الى أراضي الشأم ، لأن ذلك مما يفزع الروم ، ثم ان أهل دومة الجندل كانوا يظلمون من يمر بهم وينزل عندهم ، ومن يحل بسوقهم للبيع والشراء ، وقد كان الناس يذهبون اليها ويعودون الى المدينة ، فقرر غزوها ، فلما وصل الرسول كان أهلها قد فرّوا وتركوا قريتهم ، فنزل بها

---

١ البلدان (٢/٦٢٥ وما بعدها) .

٢ الطبري (٢/٥٧٨ وما بعدها) ، (القاهرة ١٩٣٩ م) ، الكامل (٢/٢٧٠) ، الطبري (٣/٣٧٨ ، ٣٨٥) (دار المعارف) ، البلاذري ، فتوح (٧٤) .

ولم يجد احداً ، فرجع عنها ، وذلك قبل غزو خالد لها . [1]

وورد في سبب غزو الرسول لها ، ان جمعاً من قضاعة ومن غسان تجمعوا ، وهمّوا بغزو الحجاز . فسار في ألف انتخبهم ، فلما انتهى الى موضعهم ألفاهم قد تفرقوا أو هربوا ، لم يلق كيداً . [2]

وفي هذه الغزوة وادع رسول الله (عيينة بن حصن) على ان يرعى بـ (تغلمين) وما والاه الى (المراض) . [3]

ويفهم من حديث بعض اهل الاخبار عن (دومة الجندل) ، انها كانت قرية عادية ، الا ان الدهر كان قد لعب بها ، فخربت وقلّ عدد من كان بها ، الى ان نزل بها (أكيدر) ، فأعاد اليها رواءها ، وغرس الزيتون بها ، فتوافد اليها الاعراب . ويذكر هؤلاء ان (أكيدر) ، كان ينزل مع اخوته قبل مجيئه الى (دومة) (دومة الحيرة) ، ولما جاء يزور اخواله من (كلب) ونزل بخرائب (دومة الجندل) أعجبته فنزل بها ، وأمر باعادة بناء ما تهدم من حائطها ويبعث الحياة بها حتى صارت قرية عامرة يقصدها الاعراب للبيع والشراء . [4] وصار (اكيدر) يتردد بينها وبين (دومة الحيرة) . [5]

ويحمي (دومة) سور قديم ، بني قبل (اكيدر) في زمان لا يحيط علم اهل الاخبار به . يقولون انه بُني من (الجندل) ، وانه هو الذي جعل الناس يسمون الموضع بـ (دومة الجندل) . ويذكرون انه كان في داخل السور حصن منيع يقال له (مارد) ، وهو حصن (اكيدر بن عبد الملك بن الحي بن أعيا ابن الحـــارث بن معاوية بن خلاده بن ابامه بن سلمة بن شكامة بن شبيب بن السكون بن اشرس بن شور بن عفير ، وهو كندة) فهو سكوني كندي . [6]

١ الطبري (٥٦٤/٢) ، (دار المعارف) ابن عساكر ، التأريخ الكبير (١٧/١) ، ابن خلدون القسم الاول من المجلد الثاني (ص ٧٧٣) ، ابن هشام (٦٦٨/٢) (الطبعة الاوربية) ، شرح المواهب (٣٦٠/٣) ، الكامل (٢٧٠/٢ وما بعدها) .

٢ البلاذري ، أنساب (٣٤١/١) .

٣ نهاية الارب (١٦٣/١٧) ، (غزوة دومة الجندل) .

٤ البلاذري ، فتوح (ص ٢٢٣) (بيروت ١٩٥٧ م) .

٥ البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) ، (١٠٦/٤) (طبعة ١٩٠٦) .

٦ البلدان (٦٢٥/٢ وما بعدها) (طبعه طهران ١٩٦٥ م) .

وحصن (مارد) ، حصن شهير له ذكر بين اعراب الشمال بُني قبل ايام (اكيدر) . قال عنه بعض اهل الاخبار انه حصن عادي ، اي من الحصون الجاهلية القديمة . وقد رأينا فيما سلف ان (دومة) من المواضع المعروفة التي يعود عهدها الى ما قبل الميلاد . وذكر اهل الاخبار ، ان سكانها كانوا اصحاب نخل وزرع ، يسقون على النواضح ، وحولها عيون قليلة وزرعهم الشعير . وانهـا (دوماء الجندل) ايضاً . [1]

وكان اكثر سكان (دومة الجندل) من (بني كنانة) من (كلب) . ويعدّها بعض اهل الاخبار من (القريّات) ويقصدون بمصطلح (القريات) : دومة وسكاكة وذو القـارة . [2] وتحيط بدومة مستوطنات وقرى تحتمي بسلطان حاكم (دومة) . وكان (اكيدر) يلقب نفسه بلقب (ملك) على عادة ذلك الوقت في تلقيب سادات المواضع انفسهم بهذا اللقب ، وان كان لا يعني في الواقع اكثر مما يعنيه مصطلح (شيخ) في الوقت الحاضر .

وكان اهل (دومة) على النصرانية ، شأنهم في ذلك شأن اكثر اهل القرى في العراق وفي بادية الشام وبلاد الشام . وكان اهل (اكيدر) على هذه الديانة ايضاً . اذ ورد ان الرسول ارسل (عبـد الرحمن بن عوف) على رأس جيش الى دومة ، فذهب اليها ودخلها ، وأسلم (الأصبغ) ، وتزوج عبد الرحمن ابنته (تماضر) ، اذ كان الرسول قد كتب اليه ان يتزوج ابنة ملكها ، اي ملك (دومة) ، وهو (الأصبغ) . [3] فيظهر من هذا الخبر ، ان (الأصبغ) كان يلقب نفسه بلقب (ملك) ايضاً ، وأنه كان يحكم (دومة) في ايام الرسول . في نفس الوقت الذي كان فيه (الأكيدر) يحكم (دومة) ، ويلقب نفسه بلقب (ملك) .

---

١ التاريخ الكبير ، لابن عساكر (١/٨٩ وما بعدها) (مطبعة روضة الشام) ، تاج العروس (٨/٢٩٧) ، (دوم) .

٢ البلدان (٢/٦٢٥ وما بعدها) (طهران ١٩٦٥ م) ، مراصد الاطلاع (٢/٥٤٢ وما بعدهـا) .

٣ التاريخ الكبير ، لابن عساكر ، (١/٨٩ وما بعدها) ، البكري ، معجم (٢/٥٦٤ وما بعدها) ، المحبر (ص ١٢٠) .

وذكر بعض الاخباريين ان اهـــل دومة الجندل كانوا من عُباد الكوفة.[1] ويقصدون بذلك انهم كانوا نصارى ، فقد كانت عادتهم اطلاق لفظة (عباد) على النصارى العرب ، عرب الحيرة بصورة خاصة . وقصدوا بالكوفة ، الحيرة ، لأن الكوفة لم تكن موجودة في الجاهلية ، اذ بنيت في ايام الخليفة (عمر) .

ويظهر من اهل الاخبار ان (اكيدر السكوني) لم يتمكن من تثبيت ملكه على (دومة الجندل) بصورة دائمة ، اذ كان ينافسه زعماء كلب الأقوياء. فقد ذكر (محمد بن حبيب) ان ملكها كان بين (اكيدر العبادي ثم السكوني وبين قنافة الكلبي . فكان العباديون اذا غلبوا عليها وليها اكيدر ، واذا غلب الغسانيون ولّوها قنافة . وكانت غلبتهم ان الملكين كانا يتحاجيان فأيما ملك غلب صاحبه باخراج ما يلقى عليه ، تركه والسوق فصنع فيها ما شاء . ولم يبع بها احد شيئاً الا باذنه حتى يبيع الملك كلما اراد بيعه مع ما يصل اليه من عشورها).[2] ويؤيد هذا الخبر ما ذكرته من وجود ملك آخر على دومة ، هو (الأصبغ) الكلبي المتقدم الذكر .

وهناك خبر آخر يفيـــد ان (الجودي بن ربيعة) ، كان مثل (الاكيدر) رئيساً على (دومة) ، وان الإثنين كانا رئيسين عليها .[3] وورد انه كان من غسان وأن اسمه (عدي بن عمرو بن أبي عمرو الغساني) ، وأن (عبد الرحمن ابن ابـي بكر) ، (كان يختلف الى الشام في تجارة قريش في الجاهلية ، فرأى هناك امرأة يقال لها : ابنة الجودي من غسان ، فكان يهذى بها ، ويذكرهـــا كثيراً في شعره) ، (وأصيبت حين غزو الروم ليلى ابنة الجودي ، فبعثوا بها الى عبد الرحمن بن ابـي بكر لذكره اياها) .[4] فهو اذن على هـــذه الرواية من غسان .

ويظهر من غربلة روايات الاخباريين ان هنالك موضعاً آخر عرف بـ (دومة) و (دوماء) . يقع في العراق على مقربة من (عين التمر) ، ذكر الاخباريون

---

١ البلاذري ، فتوح (٧٤) .
٢ المحبر (ص ٢٦٣ وما بعدها) ، الازمنة والامكنة (٢/١٦١ وما بعدها) .
٣ الكامل (٢/٢٧٠ وما بعدها) .
٤ نسب قريش (٢٧٦) .

ان اسمه (دومة) و (دوما) و (دومة الجندل) . ونسبوا كما ذكرت قبل قليل بناءه الى (الاكيدر) . وهو موضع لا نعرف من امر تأريخه شيئاً يذكر .

وذكر ان (حارثة بن قطن) ، و (حمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل) ، وهما من (كلب) قدما الي رسول الله وأسلما ، فكتب رسول الله لحارثة كتاباً (لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب مع حارثة بن قطن) ، ثم بين ما على المذكورين من حقوق وواجبات ، وما عليهم من احكام فرضها الاسلام على المسلمين .[1]

وترك (خالد) (دومة الجندل) ، ثم اتى (قصم) ، فصالحه (بنو مشجعة بن التيم بن النمر بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة) ، وكتب لهم اماناً . ثم اتى (تدمر) ، فأمنهم ، ثم اتى (القريتين) ، ثم (حوارين) من (سنير) ، ثم اتى (مرج راهط) ، فأغار على (غسان) .[2]

وكان (حاضر) (قنسرين) لتنوخ ، من اول ما تنخوا بالشام ، نزلوه وهم في خيم الشعر . ثم ابتنوا به المنازل . فدعاهم (ابو عبيدة) الى الاسلام ، فأسلم بعضهم وأقام على النصرانية (بنو سليح) . وكان بهذا الحاضر قوم من (طيء) ، نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزلوا الجبلين . فلما ورد (ابو عبيدة) عليهم اسلم بعضهم وصالح كثير منهم على الجزية ، ثم اسلموا بعد ذلك .[3]

وقضاعة قبائل عديدة ، منها (بنو جرم بن ربّان) و (بنو سليح) و (تزيد) ابنا (عمران بن الحاف بن قضاعة) و (كلب بن وبرة) ، وهو قبيل عظيم منهم (الأسبع) ، ومن قبائل قضاعة (عذرة بن زيد اللآت) و (العبيد بن زيد اللآت) ، و (بنو كنانة) ، و (بنو جناب بن هبل) ، و (بنو عليم بن جناب) ، و (بنو مصاد) ، و (بنو حصن) ، و (بنو معقل) . ومن (بني جناب) (بحدل بن أتيف) ، جد (يزيد بن معاوية) لأمه . ومن رجالهم (ابن الجلّاح) ، وكان قائداً للحارث بن ابي شمر الجفني ،

---

١ نهاية الارب (١٨/٩٣ وما بعدها) .
٢ البلاذري ، فتوح (١١٨ وما بعدها) ، الطبري (٣/٤١٧) ، تأريخ خليفة (١/٨٧) .
٣ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

واسمه (النعمان) . وهو الذي اغـــار على (بني فزارة) و (بني ذبيان) ، فاستباحهم وسبى (عقرب) بنت النابغة ، ومَنّ عليها ، فمدحه (النابغة) .[1]

وقد انتشرت بطون (كلب) في ارضين واسعة ، شملت دومة الجندل وبادية السماوة والاقسام الشرقية من بلاد الشام . ولما أُخرج الروم عن ديار الشام ، لعبت بطون كلب دوراً بارزاً في السياسة ، اذ أيدت الامويين ، وتزوّج (معاوية) (ميسون) أم (يزيد) وهي كلبية ، فصارت كلب في جانب الامويين .

ومن قبائل (قضاعة) ، (بنو عامر الاجدار) . ومن رجال (بني وبرة) غير كلب ، (بنو القيس بن جسر) ، و (بنو مصاد بن مذعور) و (بنو زهير بن عمرر بن فهم) . ومن قبـــائل (جرم بن ربان) : (بنو اعجب) و (بنو طرود) و (بنو شميس) . ومن بطون (جرم) : (بنو خشين) ، ومن رجالهم (رأس الحجر) ، وقد رأس في الجاهلية وأخذ المرباع . ومن رجال (جرم) ، (عصام بن شهبر) ، حاجب النعمان . وكان النعمان اذا اراد ان يبعث بألف فارس بعث بعصام .[2]

وقد ذهب وفد من (جرم) الى المدينة ، فيه (الاصقع بن شريح بن صريم) و (هوذة بن عمرو) ، فأسلما ، وكتب الرسول لهما كتاباً .[3] وذهب وفد آخر ، اخبر الرسول باسلام حواء من جرم ، كان عليه (سلمة بن قيس الجرميّ) ومعه ابنه (ابو زيد عمرو بن سلمة بن قيس الجرمي) .[4]

وقد ساعد الغساسنة الروم في حروبهم مع المسلمين ، وكان على رأسهم (جبلة ابن الايهم الغساني) ، الذي حارب مع مقدمة جيش الروم في مستعربة الشام من غسان ولخم وجذام وغيرهم يوم اليرموك . ثم انحاز (جبلة) الى المسلمين ، وأظهر الاسلام ، ثم عاد ، ففرّ الى بلاد الروم ، واستقر بها ، وبها مات .[5] وقد استمر (المستعربة) يناصرون الروم ، فلما تراجع قوادهم نحو الشمال لضغط

---

١ الاشتقاق (٣١٣ وما بعدها) .

٢ (عصام بن شهبر الجرمى ، حاجب النعمان بن المنذر ملك العرب . ومنه قولهـــم : ما وراءك يا عصام ؟ يعنون به اياه) ، تاج العروس (٣٩٩/٨) ، (عصم) .

٣ ابن سعد ، طبقات (٣٣٥/١) ، (الاسقع) ، نهاية الارب (٩٤/١٨ وما بعدها) .

٤ ابن سعد ، طبقات (٣٣٦/١ وما بعدها) .

٥ البلاذري ، فتوح (١٤٠ وما بعدها) . (٢) البلاذري ، فتوح (١٦٩) .

المسلمين عليهم ، التحق بهم هؤلاء (المستعربة) من غسان وتنوخ وإياد ، وقد التحموا بالمسلمين في (درب بغراس)[1] .

ويذكر الأخباريون ان (دمشق) كانت منازل ملوك غسان . وبها آثار لآل جفنة . والظاهر ، انهم كانوا قد اشتروا وابتنوا بها قصوراً ، عاشوا فيهـا ، ومنها كانوا يتصلون بكبار الموظفين الحاكمين البيزنطيين . فإذا أرادوا الاتصـال بقومهم الغساسنة عادوا الى قصورهم بين قومهم . وكانت الغوطة : غوطة دمشق من المناطق التي سكن بها الغساسنة[2] .

ويظهر من روايـة يرجع سندها الى (محمد بن بُكير الغساني) عن قومـه (غسان) ان الغساسنة لم يقبلوا على الاسلام إقبال غيرهم من العرب ، وانهم لم يسلموا إلا بعد فتوح الشأم . ولما ذهب ثلاثة نفر منهم الى المدينة ، وأسلموا وبايعوا الرسول ، لم يستجب قومهم لهم في دعوتهم الى الاسلام ، فكتموا أمرهم عنهم ، خوفاً من بطش قومهم بهم[3] .

وورد في أخبار الرسل الذين أرسلهم الرسول الى الملوك يدعوهم الى الاسلام ، ان الرسول أرسل (شجاع بن وهب) الى (الحارث بن أبي شمر الغسانيّ) من غسان ، وكان يقيم إذْ ذاك بغوطـة دمشق في قصر منيف ، ليـدعوه الى الاسلام ، فلما دفع (شجاع) كتاب رسول الله الى (الحارث) رمى بـه ، ولم يدخل في الاسلام وبقي على النصرانية حتى توفي عام الفتح[4] .

وكان (جبلة) مع الروم يوم (اليرموك) ومعه (المستعربة) من غسّان وقضاعة وذلك سنة (١٥) للهجرة ، وكان قد انضم الى المسلمين بعض لخـم وجذام ، فلما وجدوا جـدّ القتال فرّوا ونجوا الى ما كان قربهـم من القرى وخذلوا المسلمين[5] .

وقد كان (جبلة بن الأيهم) على رأس (العرب المتنصرة) يحارب مـع

١ البلاذري ، فتوح (١٦٩) .
٢ ابن رستة ، الاعلاق (٣٢٦) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٨ وما بعدها) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٦١) ، نهاية الارب (١٨/١٦٥) .
٥ الطبري (٣/٥٧٠ وما بعدها) .

الروم ، لمنع المسلمين من التقدم نحو (قنسرين) ، ويذكر أهـل الأخبار ان محاورات جرت بينه وبين المسلمين في موضوع اشتراكه مع الروم ، ومنها محاورات مع (خالد بن الوليد) صاغوها باسلوب قصصي منمق ، وذكروا انه كان جالساً (على كرسي من ذهب أحمر وعليه ثياب الديباج الرومي وعلى رأسـه شبكة من اللؤلؤ وفي عنقه صليب من الياقوت)[1] . وكان ذلك بعد ارتداده عن الاسلام[2] ، فلما غلب الروم ، (كان جبلة أول من انهزم والعرب المتنصرة أثره)[3] .

ومن الغساسنة (شرحبيل بن عمرو الغسانيّ) ، الذي قتل رسولَ رسول الله (الحارث بن عمير الأزدي) ، الذي كان الرسول قد بعثه الى ملك (بصرى) . فلما نزل (مؤتة) قتله (شرحبيل) . فأمر رسول الله بارسال حملة عليه ، سنة ثمان للهجرة جعل أميرها (زيد بن حارثة) . ولما سمع بها (شرحبيل) جمع جمعاً من قومه وتقدم نحوهم ، وكانوا قد نزلوا (معان) . وبلغ المسلمين ان (هرقل) كان قد نزل (مآب) من أرض البلقاء في جمع من بهراء ووائـل وبكر ولخم وجذام والقين ، عليهم (مالك بن رافلة) الاراشي من (بلىّ)، فانحازوا الى (مشارف) ، ولما دنا العدو انحازوا الى (مؤتة) ، وقتل فيهـا فيهـا (جعفر بن أبي طالب) ، و (عبد الله بن رواحـة) و (ثابت بن رواحة) و (ثابت بن أرقم) ، ثم (زيد بن حارثـة) ، ثم تراجعوا الى المدينة . وقتل من العرب الذين كانوا مع الروم (مالك بن رافلة) (زافلة)[4]. واعتزل بعض (حَدَس) وهم (بنو غنم) الحرب ، لاشارة كاهنتهم عليهم بذلك ، فأخذوا بقولها ، فاعتزلوا عن (بني لخم) وصلم الحرب بعض منهم ، وهم (بنو ثعلبة)[5].

وكان بقرب (حلب) حاضر ، عرف بـ (حاضر حلب) ، جمع أصنافاً من العرب من تنوخ ، فصالحهم (أبو عبيدة) على الجزية[6] . ويرجع هـذا

---

١ الواقدى ، فتوح الشام (١٠٦/١) ، (ذكر فتح قنسرين) .
٢ الواقدي (١١٠/١) .
٣ الواقدي (١١٤/١) .
٤ نهاية الأرب (٢٧٧/١٧) ، (سرية مؤتة) .
٥ الطبرى (٤١/٣) ، ذكر الخبر عن غزوة مؤتة) .
٦ البلاذري ، فتوح (١٥١) .

الحاضر الى أيام الجاهلية ، فقد كان العرب قد توغلوا الى هذه الديار قبل ظهور الاسلام ، وأقاموا في الحواضر بظواهر المدن يتعيشون من اتصالهم بأهل تلك المدن .

ولم تكن الرابطة الدينية التي ربطت بين أكثر عرب بلاد الشأم والبيزنطيين ، هي العامل الوحيد الذي جعل أولئك العرب ينضمون الى صفوف الروم في الدفاع عنهم وفي مقاومة جيوش المسلمين ، بل كانت هنالك عوامل أخرى ، مثل المنافع المادية التي كان يجنيها سادات الأعراب من البيزنطيين ، حيث كانوا ينالون هدايا ورواتب منهم في مقابل حماية الحدود والمحافظة عليها من غارات الأعراب وفي مقابل الغارات التي كان البيزنطيون يكلفونهم بها لغزو حدود العراق لازعاج أعدائهم الفرس وقت الحاجة والضرورة ، ومثل التسهيلات التي كانوا ينالونها من البيزنطيين في الإتجار مع مدن الشأم وفي معاملات البيع والشراء والرواتب السخية التي تدفع للأعراب إذا خدموا في صفوف العساكر المتطوعة ، وهي رواتب سخية إذا قيست بالنسبة لحالة أهل البادية المنخفضة من الناحية المادية كثيراً بالنسبة الى حالة سكان بلاد الشأم .

وكان (الحيار) : (حيار بني القعقاع) بلداً معروفاً قبل الاسلام . وبه كان مقيل (المنذر بن ماء السماء) اللخمي ، ملك الحيرة . فنزله (بنو القعقاع) من (عبس بن بغيض) [1] .

وكانت البلقاء في أيدي قبائل من العرب مثل لخم وجذام وبلقين وبهراء وبليّ ، وهي قبائل يطلق عليها المؤرخون اسم (المستعربة) [2] . وكانوا على النصرانية في الغالب ، لذلك كان هواهم الى جانب الروم . فكانوا معهم في غزوة (مؤتة) يقاتلون مع (هرقل) ضد المسلمين وعليهم (مالك بن رافلة) وهو من (بليّ) ثم أحد إراشة . وكان المسلمون إذْ ذاك في (معان) . وهي من أعمال البلقاء يستعدون للروم [3] . وكان صاحب هذه المدينة في أيام الرسول رجلاً من (جذام) ، هو (فروة بن عمرو الجُذاميّ) . وكان عاملاً للروم على من

---

١ البلاذري ، فتوح (١٥١ وما بعدها) .
٢ الطبري (٣٧/٣) (دار المعارف) .
٣ ابن الاثير (٩٧/٢) ، الطبري (١٠٨/٣) ، (غزوة مؤتة) ، البلدان (٩٣/٨) ، (معان) .

يليهم من العرب ، ومنزله بمعان . فلما أرسل فروة رسولاً عنه الى الرسول يبلغه بإسلامه ، قبض الروم عليه وحبسوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه[1] .

ومن (لخم) (بنو الدار بن هانىء) . وقد قدم وفد منهم على رسول الله منصرفه من (تبوك) ، فيه : (تميم بن أوس بن خارجة الداري) و (نعيم ابن أوس بن خارجة) ، و (يزيد بن قيس بن خارجة) ، و (الفاكه بن النعمان بن جبلة بن صفارة) ، و (جبلة بن مالك بن صفارة) ، و (أبو هند) و (الطيب) إبنا (ذر) . وهو (عبد الله بن رزين بن عميّت بن ربيعة درّاع) ، و (هانىء بن حبيب) و (عزيز) و (مُرّة) إبنا (مالك بن سواد بن جذيمة) ، فأسلموا ، وأهدى (هانىء بن حبيب) لرسول الله ، راوية خمر وأفراساً وقباءاً مخوصاً بالذهب . فقبل الأفراس والقباء . وقال تميم : لنا جيرة من الروم لهم قريتان يقال لإحداهما (حبرى) والأخرى (بيت عينون) ، فإن فتح الله عليك الشأم فهبها لي . فوهبها رسول الله له . فلما توفي الرسول وقام أبو بكر أعطاه ذلك وكتب له كتاباً[2] .

ولما أمر الرسول (أسامة بن زيد بن حارثة) ان يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، تجهز معه المهاجرون الأولون ، ولكن وفاة الرسول لم تمكنه من السفر ، فكان أول ما فعله خليفته (أبو بكر) ان أمره بتنفيذ ما أمره به رسول الله[3] . ولكنه لم يتقدم كثيراً ، بل بلغ الموضع الذي قتل أبوه زيد بن حارثة فيه ، وهو من أرض الشأم فرجع ، لأن الرسول أمره في حياته بالمسير اليه[4] .

و (الداروم) قلعة بعد غزة للقاصد الى مصر . يجاورها عربان بني ثعلبة بن سلامان بن ثعل من بني طيء . وهم درماء وزريق[5] .

١ ابن الاثير (١٢٤/٢) ، البكري (١٢٤٢/٤) (معان) ، ابن سعد ، طبقات (٢٦١/١ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٣٤٣/١ وما بعدها) .
٣ الطبري (١٨٤/٣ وما بعدها) ، (ثم دخلت سنة احدى عشرة) .
٤ الطبري (٢٤١/٣) ، نهاية الارب (٣٧٠/١٧) .
٥ تاج العروس (٢٨٨/٨) ، (درم) .

وكانت (جذام) نازلة في (حسمى) عند ظهور الإسلام . وهي من مواطن (ثمود) . و (جُذام) من نسل (جذام) شقيق (عاملة) و (لخم) أبناء (عدي بن الحارث بن مرّة بن كهلان) . واسم (جذام) الحقيقي في رأيهم (عمرو)[1] . وتقع أرض جذام في الأقسام الجنوبية من بلاد الشأم ، وتصل الى (أيلة) ثم تمتد مع الساحل حتى تبلغ (ينبع)[2] .

ويرجع بعض النسابين نسب جُذام الى اليمن ، ويرجعها بعض آخر الى مضر ، وتوسط قوم فقالوا إنهم كانوا من مضر في الأصل ، ثم غادروا ديار مضر ، فذهبوا الى اليمن ، وعاشوا بين قبائل قحطان ، فنسوا أصلهم بتقادم العهد ، وعُدّوا في القحطانيين . ويظهر ان هذا الرأي هو محاولة للتوفيق بين الرأيين السابقين . أما الذي عليه غالبية جُذام ، فهو انها من قحطان[3] .

وقد وفد رجال من (جذام) على رسول الله ، منهم (رفاعة بن زيد بن عمير بن معبد الجُذامي) ثم أحد (بني الضبيب) ، فأسلم وكتب الرسول له كتاباً . أما (فروة بن عمرو بن النافرة) الجُذامي ، فقد كان كما سبق ان ذكرت عاملاً الروم على ما يليهم من العرب ، وكان منزله (معان) وما حولها أو على (عمان) ، فلما بلغهم انه كاتب الرسول وانه أسلم أخذوه فحبسوه ، ثم ضربوا عنقه[4] . ويذكر أهل الأخبار ان (فروة) كتب الى الرسول كتاباً أرسله مع (مسعود بن سعد) ، وبعث اليه ببغلة وفرس وحمار ، وأثواب لِينْ ، وقباء سندس مخوص بالذهب[5] . وان الرسول كتب الى فروة جواب كتابه . ويذكر أهل الأخبار ان الروم لما قبضوا على (فروة) ، قال شعراً يذكر فيه

١ البلدان (٣/٢٧٦) ، الاشتقاق (٢٢٥) ، المعارف (ص ٥٠) .
٢ صفة (١٢٩) .
٣ (وجذام قبيلة من اليمن تنزل بجبال حسمى ، وراء وادي القرى . وهو لعب عمرو ابن عدي بن الحرث بن مرة بن أدد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان . وهو أخو لخم وعاملة وعفير . ويقال اسم جذام عوف وقيل عامر . والاول أصح . ونزعم نساب مضر أنهم من معد بن عدنان) ، (وانما سمي جذام جذاما ، لان أخاه لخما وكان اسمه مالكا، اقتتل واياه، فجذم أصبع عمرو . فسمي جذاما . ولخم عمرو مالكا فسمي لخما) ، تاج العروس (٨/٣٢٣) ، (جذم) .
٤ طبقات ابن سعد (١/٣٥٤ وما بعدها) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨١) .

نفسه والرسول ، وقال مثل ذلك لما نقله الروم الى موضع يقع على ماء لهم بفلسطين اسمه (عفراء) ، فلما أرادوا ضرب عنقه ، قال بيتاً من الشعر في إسلامه وفي إيمانه [1] .

وقد انتشرت النصرانية بين كلب ، كما انتشرت بين أكثر القبائل النازلة بديار الشأم . والظاهر انها كانت على مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة (Monophysitles) [2] .

وفي جوار (الحجر) وفي شرق (حرة ليلى) ، أقامت بنو عذرة ، وهي من قبائل قضاعة ، وتنسب الى (عُذرة بن سعد بن هُذيم بن زيد بن ليث بن أسلم بن الحاف بن قضاعة) [3] . ولا نعلم من تأريخ هذه القبيلة في الجاهلية شيئاً يذكر . ولم يرد اسمها كثيراً في الأيام ، والظاهر ان ذلك لقلّة شعرائها ، فإن شعر الشعراء هو الذي خلد أسماء القبائل عند الأخباريين . ويظن انها قبيلة (Adritai) (Adraetai) التي ذكرها (بطلميوس) [4] .

أما ديار هذه القبيلة ، فكانت في وادي القرى وتبوك . ولكنها امتدت حتى بلغت قرب أيلة ه ويذكر الأخباريون ان هذه القبيلة هاجرت مع من هاجر من قبائل قضاعة بعد حربها مع حمير ، فنزلت في هذه الديار [5] . وتعاهدت مع قوم من يهود على مجاورتهم ، والا تتحرش بهم وبنخيلهم وبساتينهم . وتجاور ديار عذرة ديار قبائل أخرى من قضاعة مثل نهد وجهينة وبليّ وكلب ، كما جاورت من الشمال قبيلة غطفان [6] .

ولعذرة حلف مع عدد من بطون سعد هذيم ، مثل بني ضنة ، ويعدهم النسابون بطناً من عذرة ، وكذلك مع بني سلامان . وقد عرفوا بصحار . وكان لهم حلف مع جهينة ، ويرجع الأخباريون عهد هذا الحلف الى أيام حرب قضاعة ، وهي الحرب المسماة بـ (حرب القريض) [7] .

---

١ نهاية الارب (١٨/٢٩) .
٢ Ency., II, P. 689.
٣ Ency., II, P. 989.
٤ Sprenger, Geographie, S., 205, 333.
٥ البكري (١٨ ، ٢٢ ، ٢٧) ، الاغاني (١٦/١٦١) .
٦ Ency., IV, P. 988.
٧ البلدان (٣/٣٦٨) ، وهم أبناء (صحار) ، الاشتقاق (٣٢٠) ، Ency., IV, P. 988.

وهنالك جملة قبائل ذكر الأخباريون أربعاً أو خمساً قالوا انهـا كانت تعرف بـ (عذرة) [1] . وقد سبب تعدد هذه الأسماء للنسابين بعض التشويش .

ويظهر من روايات الأخباريين انه كان لهذه القبيلة صلة بقريش ، فزعموا ان أم (قصي) تزوجت رجلاً من (بني عذرة) ، وان أخاه من أمه (رزاح ابن ربيعة بن حرام) اشترك مع قريش في الدفاع عن الكعبة وفي طرد خزاعـة عنها . ورووا أيضاً انه كان لها صلة بالأوس والخزرج كذلك ، لأن أم القبيلتين ، وهي (قيلة بنت كاهل أو بنت هالك) ، كانت من هذه القبيلة [2] .

ولما قدم وفد (عذرة) على الرسول في صفر سنة تسع ، وفيه (حمزة بن النعمان العذري) و (سليم) و (سعد) ابنا مالك ، و (مالك بن أبي رباح) ، سلّموا على الرسول (بسلام أهل الجاهلية ، وقالوا : نحن إخوة قصي لأمـه ، ونحن الذين أزاحوا خزاعة وبني بكر عن مكة ، ولنا قرابات وأرحام) . وكان من رجال عذرة الذين وفدوا على الرسول : (زمل بن عمرو العذري) [3] .

وذكر (ابن سعد) ان الرسول كتب الى (عـذرة) في (عَسيب) ، وبعث به مع رجل من (بني عذرة) ، فعدا عليه (ورد بن مرداس) أحـد (بني سعد هذيم) ، فكسر العسيب وأسلم واستشهد مع (زيد بن حارثة) في غزوة وادي القرى أو غزوة القردة [4] .

وكانت مواطنها عند ظهور الاسلام في منطقة مهمة جداً تقع بين الحجاز وبلاد الشأم ومصر ، فتمتد من منازل (كلب) في الشمال حتى منطقة المدينة . وكانت بطونهـا منتشرة في (وادي القرى) وحول (تبوك) وعنـد (أيلة) وفي طور سيناء . ولمرور طريق القوافل منها ، تولى رجالها حراستها وجبايـة رسوم المرور منها . ولما رأى بعض المستشرقين انها تقطن منطقة كان يسكنها (أهـل

١ محمد بن حبيب ، مختلف القبائل (ص ٣٧) ، (طبعة وستنفلد) ، Ency., IV, P. 289.

٢ Ency., IV, P. 989, Wustenfeld, Genealo, I, 24.

٣ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣١ وما بعدها) .

٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٤) .

مديـــن) وكذلك النبط ، ذهبوا الى انهـــا من نسل (مديـــن) أو من بقايا (النبط) [1] .

ومن المستشرقين من يرى ان (بني النضير) هم فرع من جُذام ، دخلوا في دين يهود ، ودليلهم على ذلك انتشار اليهودية بين بعض بطون جذام التي تقع منازلها على مقربة من (يثرب) . وكانت النصرانية قد وجدت لها سبيلاً بين جذام ، وذلك باتصالها ببلاد الشأم ومصر . وقد كانت مـــع (المستعربة) أي النصارى العرب ، تحارب المسلمين مع الروم في حروب بلاد الشأم [2] .

وفي أرض جـــذام موضع يقـــال له (السلاســـل) ، وقعت غزوة عرفت بـ (ذات السلاسل) . وقد قام بها (عمرو بن العاص) ، وكان الرسول قد بعثه الى أرض (بليّ) و (عذرة) يستنفر الناس الى الشأم [3] .

ومن جذام (رفاعة بن زيد الجذامي) ثم (الضُبيبي) ، وكان قـــد قدم الى الرسول فأسلم ، وكتب الرسول له كتاباً ، وذهب الى قومه ، ونزل الحرة : حرة الرجلاء [4] . و (ضبيب) بطن من جُذام . ولما أغار (الهُنيد بن عوص) ، وهو من (الضليع) ، بطن من جُذام على (دحية بن خليفة الكلبي) ، حين قدومه من بلاد الشأم ، وكان رسول الله بعثه الى (قيصر) صاحب الروم ومعه تجارة له ، فأصاب كل شيء كان مع (دحية) نَفَرَ (رفاعةُ) وقومه ممن أسلم ، الى (الهنيد) ، فاستنقذوا ما كان في يده ، فَردّوه على (دحية) . وكان المعتدون يقيمون بحسمى [5] .

ومن (جـذام) (زنباع بن روح بن سلامـــة بن حُداد بن حديدة) ، وكان عَشّاراً ، مرّ به (عمر بن الخطاب) في الجاهليـــة تاجراً الى الشأم ، فأساء اليه في اجتيازه وأخذ مكسه ، فقال (عمر) فيه شعراً يتوعده ويهجوه ، فبلغ ذلك (زنباعا) فهجز جيشاً لغزو مكة ، فنهي عن ذلك وأشير عليه بعدم تمكنه منها ، فكَفّ عنها [6] .

١ Ency., I, P. 1058.
٢ Ency., I, P. 1058.
٣ الطبري (٣/٣٢) .
٤ الطبري (٣/١٤٠) ، (قدوم رفاعة بن زيد الجذامي) .
٥ نهاية الارب (١٧/٢٠٧) .
٦ بلوغ الارب (١/٣٦١ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٢٥) .

وكانت (أيلة) في ايام الرسول ، في ايدي (يوحنا بن رؤبة) (يحنة بن رؤبة) . ولما سمع (يوحنا) بمجيء الرسول مع جيش الى (تبوك) ، جاء اليه ، وصالحه على الجزية ، وصالحه اهل (جرباء) و (اذرح) على الجزية ايضاً . كما صالح اهل (مقنا) على ربع كروعهم وغزولهم وحلقتهم وعلى ربع ثمارهم ، وكانوا يهـوداً . [1] وقد دوّن (ابن سعد) صورة كتاب ذكر ان الرسول كتبه لـ (يحنة بن رؤبة) (يحنة بن رَوْبَة) وأهل ايلة (لسفنهم وسيارتهم في البر والبحر ... ولمن كان معهم من اهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر) . [2]

وأورد (ابن سعد) نص كتاب ارسله الرسول الى (يوحنا بن رؤبة) (يحنة ابن رَوْبَة) و (سَرَوات) اهل ايلة : جاء فيه ان رسول الله قد ارسل اليه رسلاً هم : (شرحبيل) و (ابيّ) و (حرملة) ، و (حريث بن زيد الطائي) . و (أن حرملة) قد شفع له ولأهل ايلة لدى الرسول وأن عليه ان يكسو (زيداً) كسوة حسنة . وأنه قد اوصى رسله بهم . ويظهر من هـذا الكتاب ، ان حامله كان (زيداً) ، وجاء فيه (وجهزوا اهل مقنا الى ارضهم) . [3]

وكتب الرسول كتباً الى اهل (اذرح) و (جربا) ولأهل مقنا ، وذكر ان اهل مقنا ، كانوا يهوداً على ساحل البحر . وأهل جربا واذرح يهود ايضاً . [4]

اما (كلب) التي كانت ديارهـا تتاخم ديار جذام ، فينسبها النسابون الى (كلب بن وبرة) ، وهي من القبائل التي كانت تنزل ديار الشام عند ظهور الاسلام . غير اننا لا نعرف من تأريخها شيئاً يذكر قبل الاسلام . [5]

وتتصل بديار كلب من الشرق ارض الحيرة وديار (بني بكر) ، ومن الجنوب ديار طيء ، ومن الغرب ديار (بنو بليّ) و (جذام) ، ومن الشمال (بنو بهراء) وقبائل غسان .

ويرجع نسب (كلب) في عرف النسّابين الى قبائل (قضاعة) . ومن كلب

١ الطبري (٣/١٠٨) ، البلاذري ، فتوح (٧١) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٩) ، نهاية الارب (١٧/٣٥٧) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٨) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٩ وما بعدها) .
٥ Ency., II, P. 688.

الأسبع : وهي بطون ثعلب وفهد ودب والسيد والسرحان وبرك . ومن قبائلها : ثور وكلب ورفيدة وعوذي وعرينة وقبائل اخرى يذكرها النسابون . [1]

وينسب الى هـذه القبيلة (زهير بن جناب الكلبي) ، وهو في جملة من يذكرهم الاخباريون من المعمرين . ويذكرون انه كان رئيساً من رؤساء هذه القبيلة ، وأنه كان شاعراً ، وأنه كان في ايام (كليب وائل) و (المهلهل بن ربيعة) ، ومعنى ذلك انه عاش في القرن السادس للميلاد . [2]

وقد ذكر الاخباريون اسماء رجال برزوا في الجاهلية ، ينتمون الى بطون هذه القبيلة ، منهم (هوذة بن عمرو) ، نعتوه بـ (رب الحجاز) ، [3] وهذا النعت يدل على منزلة الرجل ومكانته التي كان عليها قبل الاسلام . وهو من (حَرْدش) وقد مدحه (النابغة الذبياني) . وقد نسب الاخباريون هوذة الى (عص) او (عيثر بن لبيد) ، وهو في زعمهم من المعمرين في الجاهلية . [4]

وقد وفد رجل من (كلب) على الرسول اسمـه (عبد عمرو بن جبلة بن وائل بن الجَلاّح الكلبي) ، ومعه (عاصم) ، من (بني وقاش) من (بني عامر) ، فأسلما . ووفد (حارثة بن قطن بن زائر بن حصن بن كعب بن عليم الكَلْبي) و (حمل بن سعدانة بن حارثة بن مغفل بن كعب بن عليم) ، فأسلما . وكتب الحارثة بن قطن ، كتاباً ، لأهل دومة الجندل وما يليها من طوائف كلب ، دَوّن فيه أوامره لهم ونواهيه وشروطه ان ارادوا الدخول في الاسلام . [5]

وأورد (ابن سعد) صورة كتاب ، ذكر ان الرسول كتبه (لبني جناب) من كلب وأحلافهم ومن ظاهرهم . وقد بين فيه الامور التي يجب عليهم مراعاتها من حقوق وأحكام . وأشهد عليه فيه : سعد بن عبادة ، وعبد الله بن انيس ، ودحية الكلبي . [6]

---

١ الاشتقاق (ص ٣١٤ وما بعدها) .
٢ الاشتقاق (ص ٢٠٤) . Ency., IV, P. 1237.
٣ الاشتقاق (٣٢٠) .
٤ الاشتقاق (٣٢٠) . Ency., IV, P. 989.
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٣٣٤ وما بعدها) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٨٦) .

ولعذرة عدة بطون ، منها : بنو الجلحاء ، وبنو جلهمة ، وبنو زقزقة ، وبنو ضنة ، وبنو حردش ، وبنو حنّ ، وبنو مدلج . [1] ويظهر من ابيات للشاعر النابغة ان (النعمان بن حارث الغساني) لما هم بغزوّ (بني حنّ) في موضعهم بـ (برقة صادر) ، نهاه عن ذلك ، غير انه لم ينته ، فاصيب غزوه بهزيمة . [2] وحنّ ، هم الذين قتلوا (الجلاس بن وهب بن قيس بن عبيد) من طيء ، في الحجر . وكان الجلاس ممن اجتمعت عليه جديلة طيء . [3]

وتبوك هي من جملة مواضع بني عذرة ، وهي موضع (Thapaua) الذي ذكره (بطلميوس) ، [4] ولا نعرف من امرها قبل الاسلام شيئاً يذكر . وقد ذكرت في الفتوح ، اذ وصل الرسول اليها ، وصل الرسول ، وصالح اهلها على الجزية ، مما يدل على ان سكانها كانوا من اهل الكتاب . [5]

وكان غزو الرسول لها سنة تسع للهجرة ، اذ بلغه ان الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وانهم قد جمعوا اليهم جمعاً من لخم وجذام وعاملة وغسان وقدموا مقدماتهم الى البلقاء ، فأراد الرسول مباغتتهم قبل ان يباغتوه ، فلما وصل اليها ، وجد ان الروم بعيدون عنه فرجع . [6]

ويذكر اهل الاخبار ان (بني عذرة) نصروا قصيّاً وساعدوه ، لوجود صلة له بهم . ويظهر انه قد كان عند القدامى من (بني عُذرة) كتاب في اخبارهم كانوا يرجعون اليه اذا احتاجوا الى الوقوف على خبر يخص هذه القبيلة . فقد ذكر (ابو عمرو بن حريث العذري) ، انه رجع الى كتاب من كتب آبائه في امر (وفد عذرة) الذي ذهب الى الرسول . [7]

---

١ الاشتقاق (٣٢٠) ، Ency., IV, P. 989

٢ الاشتقاق (٣٢٠) ، البلدان (١٤٣/٢) .

٣ البلدان (٧٤/٧) ، (قرى) .

٤ Ptolemy, Geography, VI, 7, 27.

٥ البلدان (٨٢٤/١) ، ابن هشام (٩٠٢) ، الطبري (١٦٩٢/١) ، غزوة تبوك ، فتوح البلدان (٥٩) ، شمال الحجاز ، تأليف الويس موسل ، ترجمة : الدكتور عبد المحسن الحسيني ، سنة ١٩٥٢ م ، (ص ١٤٠ وما بعدها) .

٦ نهاية الارب (٣٥٢/١٧ وما بعدها) .

٨ (عن أبي عمرو بن حريث العذري قال : وجدت في كتاب آبائي ، قالوا...) ، ابن سعد ، طبقات (٣٣١/١) .

وتقع ديار (غطفان) جنوب (طيء) ، وشمال (هوازن) و (خيبر) والى الغرب من بليّ وديار سعد . وهم من القبائل الكبيرة التي يرجع النسابون نسبها الى (سعد بن قيس بن مضر) . فهي من القبائل المضرية في اصطلاح أهل الأنساب . وهم قبائل : منهم : ريث وبغيض وأشجع ، ومن بغيض ذبيان ، وهو والد عبس ، وانما أجداد قبائل كبيرة[1] . وتقع ديار أشجع على مقربة من المدينة ، وأما ديار (بغيض) فتقع عند شربة والربذة ، وتجاورها (خصفة بن قيس عيلان) ، وسليم الذين تقع ديارهم في جنوبهم .

ومن رجال (أشجع) (مسعود بن رخيلة بن نويرة بن طريف) ، وقد وفد على الرسول على رأس وفد قوامه مئة رجل ، وادّعوا رسول الله ، ثم أسلموا[2] .

وقد كانت بين (غطفان) وبين (بني عامر بن صعصعة) وهم بطن من هوازن حوادث وأيّام . من ذلك (يوم النفراوات) ، وفيه قتل خالد بن جعفر ابن كلاب العامري زهير بن جذيمة سيد عبس . وكانت هوازن تخضع لزهير . وتقدم له الإتاوة كل سنة في سوق عكاظ . فلما استبد بهم زهير ، ولم يرع لهم حرمة ، ولم ينصفهم ، نقموا عليه . وأقسم جعفر ليقتلنه ، وقد وفى بقسمه في يوم (النفراوات) .[3]

وقد غزا الرسول قوماً من (غطفان) ، هم من (بني محارب) و (بني ثعلبة) ، حتى نزل نخلاً فلقي جمعاً من (غطفان) ، ولم تقع بينهم حرب ، وعرفت الغزوة بـ (غزوة ذات الرقاع)[4] . وكانت هذه الغزوة في أول السنة الثالثة من الهجرة . وعرفت أيضاً بـ (غزوة ذي أمر) ناحيـة (النخيل) . وكان قد جمعهم رجل يقال له : (دعثور بن الحارث) من (بني محارب) ، وهم من الأعراب ، فلما وصل الرسول اليهم ، هربوا في رؤوس الجبال ، ثم

١ الاشتقاق (١٦٤ وما بعدها) ، ابن حزم ، جمهرة (ص ٢٣٧ وما بعدها) ، Ency., II, P. 144.

٢ نهاية الارب (١٨/٢٢٠) .

٣ العقد الفريد (٣/٣٠٤) ، الاغاني (١٠/١٠) .

٤ الطبري (٢/٥٥٥ وما بعدها ح .

أسلم (دعثور) ودعى قومه الى الاسلام[1] .

وقـد تجمع جمع من غطفان بالجناب ، وأرادوا مباغتة المسلمين ، فوصلت الأنباء بذلك الى الرسول ، فأرسل سرية عليهم فلت ذلك الجمع[2] .

وقد استجابت (غطفان) لدعوة سادات (بني النضير) أمثال : (سلام ابن أبـي الحقيق) ، و (حيـي بن أخطب) و (كنانـة بن الربيع بن أبـي الحقيق) ، ودعوة نفر من (بني وائل) ، فيهـم (هوذة بن قيس الوائلي) و (أبو عمار الوائلي) ، ولزعماء مكة وعلى رأسهم (أبو سفيان) ، فخرجت وقائدهـا (عيينة بن حصن بن حذيفة بن بـدر الفزاري) في بني فزارة ، و (الحارث بن عوف بن أبـي حارثة المُرّي) في (بني مُرّة) و (مسعود (مِسْعر) بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة الأشجعي) فيمن تابعـه من أشجع . واستجابت لهم (بنو سليم) ، يقودهم (سفيان بن عبد شمس) وهو أبو (أبـي الأعور السلمي) ، وانضمت اليهـم (بنو أسد) يقودهـم (طليحة بن خويلد الأسدي) ، وكوّنوا الأحزاب . وساروا باتجـاه المدينة ، فوجدوا المسلمين وقد حفروا خندقاً حولها ، حال بينهم وبين اقتحامها ، ووقعت مناوشات ، انتهت برجوع الأحزاب . ونجاح المسلمين في الدفاع عن أنفسهم[3] .

ومن رجال (عبس) الذين وفدوا على الرسول : (ميسرة بن مسروق) و (الحارث بن ربيع) وهو الكامل ، و (قنان بن دارم) ، و (بشر بن الحارث بن عبادة) و (هِدْم بن مسعدة) ، و (سباع بن زيد) ، و (أبو الحصن بن لقمان) ، و (عبـد الله بن مالك) ، و (فروة بن الحصين بن فضالة). وذكر ان رسول الله سأل نفراً من (عبس) عن (خالد بن سنان)، فقالوا : لا عقب له ، فقال : نبيّ ضيعه قومه ، ثم أنشأ يحـدث أصحابـه حديث خالد[4] .

---

١ نهاية الارب (٧٧/١٧ وما بعدها) .
٢ الطبري (٢٣/٣) .
٣ الطبري (٥٦٤/٢ وما بعدها) ، (عزوة الخندق) ، نهاية الارب (١٦٦/١٧ ومـا بعدهـا) .
٤ طبقات ابن سعد (٢٩٥/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (١٧/١٨) .

وقد كتب الرسول الى (بني زهـير بن أقيش) كتاباً ، أمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم[1] . و (بنو أقيش) هم حيّ من (عكل) . و (عكل) من (الرباب) . وهم (تيم) و (عدي) و (عكل) و (مزينة) . وذكر ان الرسول كتب لبني أقيش في ركية بالبادية[2] .

ومن ديار (هوازن) ، (تربة) ، وهي ناحيـة (العبلاء) على طريق صنعاء ونجران . وتقع في (عجز هوازن) . وقد أرسل الرسولُ عليهم سرية بقيادة (عمر) وذلك سنة سبع للهجرة[3] . وتقع ديار هوازن بغور تهامـة الى الى بيشة والسراة وحنين وأوطاس[4] .

وفي جنوب شرقي (حسمى) أقـامت بطون (فزارة)[5] ، وتنسب الى (فزارة بن ذبيان بن بغيض بن غيث بن غطفان) . وقد اشتركت في حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان ، وفي معارك أخرى ، وتعاونت مع يهود خيبر ضد الرسول[6] . ومن رجـال (فزارة) (خارجة بن حصن) ، وكان فيمن وفد على النبي من وفد (بني فزارة) سنة تسع للهجرة[7] .

ومن (بني فزارة) في أيام الرسول (عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر) ، أغار على لقاح رسول الله وهي ترعى بالغابة ، وهي على بريد من المدينة ، فوجه رسولى الله جمعاً عليه ، قتل (مسعدة بن حَكَمَة بن مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري) و (حبيب بن عيينة) ، ثم لحقهـم الرسول بـ (ذي قـرد) ، فوجدهم قد مضوا[8] . وقد نعت النبي (عيينة) بـ (الأحمق المطاع في قومه)[9] . ومن بني فزارة الذين وفدوا الى الرسول بعد رجوعه من تبوك سنة تسع للهجرة ،

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٩) .
٢ الاشتقاق (١١١/١١٣) .
٣ نهاية الأرب (١٧/٢٧٠) .
٤ البكري ، معجم (١/٨٨) .
٥ Musil, Hegaz, P. 315.
٦ Ency., II, P. 93.
٧ الطبري (٣/١٢٢) .
٨ البلاذري ، انساب (١/٣٤٨ وما بعدها) .
٩ الاشتقاق (١٧٣) .

(خارجة بن حصن) و (الحرّ بن قيس بن حصن[1] . وذكر ان (عيينة بن حصن) كان من المؤلفة قلوبهم . شهد حنيناً والطائف . وكان أحمق مطاعاً دخل على النبي بغير إذن وأساء الأدب ، فصبر النبي على جفوته وأعرابيته . وقد ارتد وآمن بطليحة ، ثم أسر ، فمنّ عليه الصدّيق ، ثم لم يزل مظهراً للإسلام . وكان يتبعه عشرة آلاف قناة . وكان من الجرارة . واسمه حذيفة ولقبه عيينة لشتر عينه[2] .

ولما خرج (زيد بن حارثة) في تجارة له الى الشأم ، ومعه بضائع لأصحاب رسول الله ، وكان دون (وادي القرى) لقيه ناس من (فزارة) من (بني بدر) ، فضربوه وأخذوا ما كان معه ، فعاد (زيد) الى المدينة وأخبر الرسول بما حدث . فأعاده مع سرية لغزوهم ، فحاصرهم ، ولكنهم كانوا قد هربوا ، فأسر منهم (فاطمة بنت ربيعة بن بدر) وابنتها (جارية بنت مالك بن حذيفة ابن بدر) ، وقُتل (النعمان) و (عبد الله) ابنا (مسعدة بن حكمة بن مالك ابن بدر)[3] .

وعلى السُنّة الجارية بين القبائل ، تشتّت شمل عشائر غطفان بسبب الحروب التي نشبت بينها من جهة ، وبينها وبين بطون خصافة من جهة أخرى . ونعني بخصافة هوازن وسليماً . وقد استمر التنافس بين عشائر غطفان وعشائر خصافة الى ظهور الإسلام ، وتميز بحوادث الفتك والاغتيالات ، وبرز في هذا النزاع اسم (دريد بن الصمة) وهو من هوازن ، ومعاوية وصخر أخوي الخنساء وهما من سُليم[4] .

ولما انتقل الرسول الى جوار ربه ، ارتد كثير من غطفان ، وأيد بعضهم طليحة ، ولم يرجعوا الى الإسلام إلا بعد انتصاره على المرتدين .

وكان من وجوه (بني عامر بن صعصعة) ، عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن مالك بن جعفر ، (أربد بن ربيعة بن مالك بن جعفر) ، وجبار بن

---

١ ابن سعد ، طبقات (٢٩٧/١) ، نهاية الأرب (٢٠١/١٧ وما بعدها) ، (٤١/١٨) .
٢ تاج العروس (٤٥/٦) ، (ألف) و (عين) .
٣ نهاية الارب (٢١٠/١٧ وما بعدها) .
٤ Ency., II, P. 145.

سلمى بن مالك ، وكان هؤلاء رؤوس القوم وشياطينهم . وقد وفدوا على الرسول . ولم يسلم (عامر بن الطفيل) ، بل رجع كافراً ومات على الشرك[1] . وكان معجباً بنفسه ، جريئاً على الناس[2] ، من الفرسان[3] . طلب من الرسول ان يجعل الأمر له من بعده في مقابل إسلامه ، أو ان يقتسم معه الحكم على الناس مناصفة ، فيكون للرسول حكم أهل المدر ، وله حكم أهل الوبر . فلما قال له الرسول : « لا ، ولكني أجعل لك أعنة الخيل فإنك امرؤ فارس » قال : أوليست لي ؟ لأملأنها خيلاً ورجالاً . ثم ولى ، فلما كان في طريقه الى منازله مرض وهلك[4] .

وكان (أبو براء عامر بن مالك بن جعفر) المعروف بـ (ملاعب الأسنة الكلابي) ، بعث الى رسول الله ان ينفذ اليهم قوماً يفقّههم ويعرضون عليهم الإسلام وشرائعه ، فبعث اليهم قوماً من أصحابه . فعرض لهم (عامر بن الطفيل) يوم بئر معونة فقتلهم أجمعين . واغتمّ (أبو براء) لاخفار عامر بن الطفيل ذمته في أصحاب رسول الله ، ثم توفي بعد ذلك بقليل . وكان سيد (بني عامر ابن صعصعة) في أيامه[5] . و (بئر معونة) ، أرض بين أرض (بني عامر) و (حرة بني سُليم) ، وهي الى حرة بني سليم أقرب[6] . وقد استصرخ (عامر بن الطفيل) جماعة من (بني سليم) و (عصية) و (رعلا) و (ذكوان) فنفروا معه على المسلمين[7] .

ولما أرسل (أبو بكر) (خالد بن الوليد) الى (بني عامر بن صعصعة) ، لم يقاتلوه ودفعوا الصدقة . وكان (قرة بن هبيرة) القشيري امتنع من أداء الصدقة ، وأمدّ (طليحة الأسدي) ، فأخذه خالداً ، فحمله الى (أبي بكر) فحقن أبو بكر دمه[8] .

---

١ الطبري (٣/١٤٤) ، (وفد بني عامر بن صعصعة) .
٢ مروج (٢/٣٢٨) ، (دار الاندلس) .
٣ الاشتقاق (١٨٠ ، ٢١٥) .
٤ نهاية الارب (١٨/٥١ وما بعدها) .
٥ المحبر (٤٧٢) ، الطبري (٣/٥٤٥) ، (ذكر خبر بئر معونة) .
٦ الطبري (٢/٥٤٦) .
٧ نهاية الارب (١٧/١٣٠ وما بعدها) .
٨ البلاذري ، فتوح (١٠٦) .

ومن بني (عامر بن صعصعة) ، بنو (رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة) . ومنهم (عمرو بن مالك بن قيس) الذي وفد على الرسول فأسلم[1] . ومنهم (بنو البكّاء) . ووفد وفد من (بني البكّاء) على الرسول كان فيه (معاوية بن ثور بن عبادة بن البكّاء) و (الفُجيع بن عبد الله بن جندح بن البكّاء) و (عبد عمر البكّائي) ، وهم الأصم[2] .

وتقع ديار (بني عامر بن صعصعة) في الأقسام الغربية من نجد وتمتد الى الحجاز . وذكر انهم كانوا يصيفون بالطائف لطيب هوائها ، فلما اشتدّ عود ثقيف وقوي أمرهم ، منعوهم منها ، واستقلوا بها وحدهم[3] .

ويرجع نسب (بني سليم) الى (قيس عيلان) ، وتقع منازلها في مواطن حرار ذات مياه ومعادن عرفت بـ (معدن سُليم) . وكانوا يجاورون عشائر غطفان وهوازن وهلال . ولخيرات أرضهم ووقوعها في منطقة مهمة تهيمن على طرق التجارة ، صارت بنو سليم من القبائل الغنية . وكانت صلاتها حسنة بيهود يثرب ، كما كانت صلاتها وثيقة بقريش . وقد تحالف عدد كبير من رجالات مكة مع بني سليم ، واشتغلوا معهم في الاستفادة من المعادن والثروة في أرض سليم[4] .

وقد قدم رجل من (بني سليم) اسمه (قيس بن نسيبة) ، على الرسول فأسلم ، ذكر انه كان على علم بلسان الروم وبهيمنة الفرس ، وبأشعار العرب ، وانه كان ذا حظ بثقافة ذلك اليوم . فلما رجع الى قومه ، وكلمهم بالإسلام ، اقتنعوا بحديثه فأسلم منهم عدد كبير ، وذهب وفد عنهم الى الرسول ، فيه (العباس بن مرداس) و (أنس بن عياض بن رعل) و (راشد بن عبد ربه) ، فأسلموا على يديه . وكان (راشد) يسدن صنماً لبني سليم . وكان اسمه (غاوي) ، وكان قد رأى ثعلبين يبولان على صنمه فشدّ عليه فكسره ، ثم جاء مع الوفد الى الرسول فأسلم ، وسمّاه الرسولُ (راشدا) على طريقته في تغييره

---

١ ابن سعد ، طبقات (١/٣٠٠) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٣٠٤) .
٣ البكري ، معجم (١/٧٧ وما بعدها) .
٤ البلدان (٢/٢٥٠) ، (٨/٩٤) ، Ency., IV, P. 518.

أمثال هذه الأسماء . وأعطاه الرسول (رهاطاً) ، وفيها عين ماء .

ويذكر أهل الأخبار ، ان سيداً من سادات (بني سليم) ، اسمه (قدّر ابن عمّار) ، كان قد قدم على النبي بالمدينة فأسلم ، وعاهده على ان يأتيه بألف من قومه ، فلما ذهب الى قومه ، وعاد ليأتي الى الرسول برجاله ، نزل به الموت ، فأوصى الى رهط من (بني سليم) بالذهاب الى الرسول ، هم (عباس ابن مرداس) و (جبار بن الحكيم) و (الأخنس بن يزيد) وأمّر كل واحد منهم على ثلاثمائة ، ليقدموا على الرسول ، ثم جاء من بعدهم (المنقع بن مالك ابن أمية) وهو على مائة رجل ، فصار عددهم ألفاً[1] .

وكتب الرسول الى (سَلمة بن مالك بن أبي عامر) السلمي) من (بني حارثة) ، انه أعطاه مَدْفَوّاً لا يحاقّه فيه أحد[2] . وأعطى (العباس بن مرداس) (مَدْفَوّاً) ، لا يحاقه فيه أحد ، كتبه له العلاء بن عقبة ، وشهد عليه[3] . ويظهر ان (سلمة بن مالك السلمي) ، الذي ذكر (ابن سعد) ان الرسول (أعطاه ما بين ذات الحناظى الى ذات الأساور)[4] ، هو (سلمي بن مالك بن أبي عامر) المتقدم .

وكان العباس بن مرداس يهاجي (خفاف بن ندبة السلمي) أحد الشعراء المعروفين . ثم تمادى الأمر الى ان احتربا ، وكثرت القتلى بينهما ، ولما تماديا في هجائهما ، ولم يسمعا نصيحة (الضحاك بن عبد الله السلمي) ، وهو يومئذ صاحب أمر بني سليم ، ولَجّا في السفاهة ، خلعتهما بنو سليم . ثم أتاهما (دريد ابن الصمة) و (مالك بن عوف النصري) رأس هوازن ، وأصلحا بينهما . واستراح منهما بنو سليم[5] .

وأسلم (العباس بن مرداس) قبل فتح مكة وحضر مع النبي يوم الفتح في جمع من (بني سليم) بالقنا والدروع على الخيل . وله ولد اسمه جلهمة ، روى

١ ابن سعد ، طبقات (٣٠٧/١ وما بعدها) ، نهاية الارب (٢٤/١٨) .
٢ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٢٧٣/١) .
٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .
٥ ابن قتيبة ، الشعر والشعراء (ص ٤٦٧ وما بعدها) .

عن النبي [1] . ويروى ان العباس بن مرداس ، شهد حُنيناً على فرسه العُبيد ، فأعطاه النبي أربع قلايص ، فقال العباس : أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع ، فقال النبي : (اقطعوا عني لسانه ، فاعطوه ثمانين أوقية فضة) [2] . وكان فيمن اشترك مع العباس بن مرداس من قومه في فتح مكة : (أنس بن عباس بن رعل) و (راشد بن عبد ربه) ، وقد طلب العباس وقومه من الرسول ، ان يجعل لهم لواءً أحمر ، وشعاراً مقدماً ، ففعل ذلك بهم [3] . وكان للعباس أخ اسمه (عمرو بن مرداس) ، ويعدّ مثل أخيه في جملة المؤلفة قلوبهم كذلك [4] .

وأعطى الرسول (هوذة بن نبيشة السلمي) من (بني عُصَيّة) . (ما حوى الجفر كله) [5] . وكتب للأجبّ رجل من (بني سليم) (انه أعطاه فالساً) ، وكتب كتابه وشهد عليه (الأرقم) [6] . وأعطى الرسول (راشد بن عبد السلمي) (غَلْوتين بسهم . وغلوة بحجر برهاط) (لا يحاقه فيها أحد) [7] . كما أعطى (حرام بن عبد عوف) من (بني سليم) (إذاماً وما كان له من شواق) [8] .

ومن (بني سُليم) (نبيشة بن حبيب) ، قاتل (ربيعة بن مكدّم) الكناني . وكان فارس كنانة [9] .

ويذكر ان الردة لما وقعت بوفاة الرسول ، جاءت (بنو سليم) الى (أبي بكر) ، فطلبوا منه ان يمدهم بالسلاح لمقاتلة المرتدين ، فأمر لهم بسلاح ، فأقبلوا يقاتلون (أبا بكر) : فبعث أبو بكر خالد بن الوليد عليهم ، وجعلهم في حَظائر ثم أضرم عليهم النيران [10] .

١ ابن قتيبة ، الشعر (ص ٤٦٧ وما بعدها) ، المعارف (٣٣٦) .
٢ الإشتقاق (١٨٨) .
٣ نهاية الارب (١٨/٢٤) .
٤ تاج العروس (٦/٤٥) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣ وما بعدها) .
٧ المصدر نفسه (١/٢٧٤) .
٨ المصدر المذكور .
٩ الاشتقاق (١٨٩) .
١٠ تاريخ خليفة بن خياط (١/٦٨) .

ومن ديار (بني سُليم) معدن بني سُليم ، وهو منزل كثير الأهل فيه اعراب بني سليم ، وماؤه من (البرك) ، وهي قرى قديمة . [1] وقد غزا الرسول على رأس ثلاثة وعشرين شهراً من مُهاجرَه (قرقرة الكدر) (قراقرة الكدر) ، ناحية معـــدن (بني سليم) بينه وبين المدينة ثمانية بُرُد ، وذلك لما سمع ان بهذا الموضع جمعاً من (بني سليم) و (غطفان) ، فلما لم يجد احداً ، اخذ ما عثر عليه من جمال تعود اليهم ، كانت ترعى هناك ، ورجع الى المدينة . [2] وغزا الرسول في السنة الثالثة من الهجرة موضعاً آخر من مواضع (بني سليم) اسمه : (بحران) من ناحية الفرع ، وهي قرية من ناحية المدينة ، لما بلغه ان بها جمعاً كثيراً من (بني سليم) . [3]

وكانت منـــازل عجز هوازن بموضع شربة . [4] ومن رجال (هوازن) في ايام الرسول (مالك بن عوف النصري) احد بني نصر . وهو الذي جمع جموع هوازن وثقيف وأقبل عامداً الى النبيّ ، حتى وافاه بـ (حنين) فوقعت غزوة حنين . وقد جمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان الا هؤلاء وغابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب . وفي جشم (دريد بن الصمة) ، شيخ كبير ، ليس فيه شيء الا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب . وكان شيخاً كبيراً مجرباً ، وفي ثقيف سيدان لهم في الاحلاف : قارب بن الاسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال . [5]

وبنو سليم ايضاً قبائل ، منها : بنو ذكوان ، وبنو بهثة ، وبنو سمّال ، وبنو بهزّ ، وبنـــو مطرود ، وبنو الشريد ، وبنو قنفذ ، وبنو عُصيّة ، وبنو ظفر . [6] وقد نجلت هذه القبائل رجالاً عرفوا في الجاهلية والاسلام ، منهم : العباس بن مرداس الشاعر الشهير ، ممن شهدوا معركة حنين مع الرسول ، ومجاشع بن مسعود

١ ابن رسته ، الاعلاق (١٧٩) .
٢ نهاية الارب (١٧/٧١ وما بعدها) .
٣ نهاية الارب (١٧/٧٩) .
٤ الطبري (٣/٢٢) ، (دار المعارف) ، نهابه الارب (١٧/٣٢٣ وما بعدها) .
٥ الطبري (٣/٧٠ وما بعدها) .
٦ الاشتقاق (١٨٧ وما بعدها) .

ممن قاد الجيوش . وهو من المهـاجرين ، والعباس بن انس الأصم من فرسان الجاهلية ، ورجال آخرون . ولسليم شقيق في عرف النسابين اسمه (مازن) . اما ابوهما فهو منصور . [1]

و (جهينة) بطن مثل (بليّ) و (بهراء) و (كلب) و (تنوخ) من بطون (قضاعة) ، كانت ديارها في نجد ، ثم هاجرت الى الحجاز ، فسكنت على مقربة من يثرب في المنطقة التي بين البحر الأحمر ووادي القرى ، عنـد ظهور الاسلام . وقد دخلت في الاسلام في حياة الرسول ولم تشترك مع من اشترك في الردة بعـد وفاته . [2] وينسب النسابون جهينة الى صحار والد جهينة ، ومن بطونها بنو حميس . [3]

ومن ديار (جهينة) ، موضع (بواط) ، وهو من (جبال جهينة) من ناحية (رضوى) قريب من (ذي خشب) مما يلي طريق الشام . وبين (بواط) والمدينة نحو اربعة برد . ومر به طريق الى بلاد الشام . ولما سمع الرسول ، وهو على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجَره ، ان قافلة لعير قريش : فيها امية بن خلف الجمحي ومئة من رجال قريش وألف وخمسمائة بعير ، تمر من هناك ، خرج في مئتين لاعتراضها ، ولكنها فرت ونجت ، فلم تقع في الأسر . [4]

وكان في جملة من وفد على الرسول من جهينة : (عبد العُزّى بن بدر بن زيد بن معاوية الجهني) من (بني الربعة بن رشدان بن قيس بن جهينة) ، ومعه أخوه لأمه (أبو روغة) . وكان لهم واد اسمه (غويّ) . ومن (بني جهينة) (بنو دهمان) ومنهم (عمرو بن مرّة الجهني) ، وكان سادن صنمهم ، فأسلم وكسر الصنم ، وقدم المدينة ، واعلن اسلامه امام الرسول . [5]

وقد كتب الرسول كتاباً لبني زرعة وبني الربعة من جُهينة ، أمنهم فيه على انفسهم وأموالهم . [6] كما كتب لعَوْسَجة بن حرملة الجهني من (ذي المروة) ،

---

١ الاشتقاق (١٨٩) ، الصفة (١٣٢ ، ١٥٤ ، ١٧٠) .
٢ Ency., I, P. 1060.
٣ الاشتقاق (ص ٣١٩ وما بعدها) .
٤ نهاية الأرب (١٧/٤ وما بعدها) .
٥ طبقات ابن سعد (١/٣٣ وما بعدها) ، نهاية الأرب (١٨/١٨ وما بعدها) .
٦ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٠) .

وقد (أعطاه ما بين بَلَكْثة الى المصنعة الى الجفلات الى الجدّ جبل القبلة لا يحاقه أحد) ، وشهد على صحة الكتاب وكتبه (عقبة) [1] كما كتب الرسول كتاباً لقوم آخرين من جُهينة ، هم من (بني شنخ) ، وقد (أعطاهم ما خطّوا من صفينة وما حرثوا) ، وكتب الكتاب وشهد عليه (العلاء بن عقبة) . [2] كما كتب الرسول كتاباً لبني الجرمز بن ربيعة ، وهم من (جهينة) ، كتبه المغيرة . [3] وكتب كتاباً لـ (عمرو بن معبد الجهني) و (بني الحرفة) من جهينة وبني الجرمز ، أهم ما جاء فيه (وما كان من الدين مدوّنة لأحد من المسلمين قضى برأس المال وبطل الربا في الرهن . وأن الصدقة في الثمار العشر) . [4] ويظهر من ذلك أن هذا الكتاب قد دُوّن بعد نزول الأمر بتحريم الربا .

وبليّ من قبائل قضاعة كذلك ، وتنسب الى بليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة . وتقع ديارها على مقربة من تيماء بين ديار جهينة وديار (جُذام) ، وهي مثل اكثر قبائل قضاعة ، لا نعرف من تأريخها في الجاهلية شيئاً يذكر . أما في أول ظهور الاسلام ، فقد اشتركت مع القبائل النصرانية في جانب الروم ضد المسلمين . [5] ومنهم (مالك بن رافلة) ، قاتل (زيد بن حارثة) يوم (مؤتة) . [6]

وفي سنة ثمان من الهجرة ارسل الرسول (عمرو بن العاص) الى ارض (بلّي) و (عـذرة) ، فلما بلغ موضع (السلاسل) خاف ، فبعث الى رسول الله يستمدّه ، فأمده بجماعة من المهاجرين الأولين ، فيهم (ابو عبيدة بن الجراح) و (ابو بكر) و (عمر) وقد عرفت تلك الغزوة بـ (ذات السلاسل) . [7]

وقد دخل دينَ يهود فرع من بليّ ينسب الى (حشنة بن اكارمة) ، وسكن

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧١ وما بعدها) .
٥ الطبري (١/١٦٠٤ ، ١٦١٠ وما بعدها) ، ابن هشام (٧٩٢) ، الاشتقاق (٣٢٢)، Ency., I, P. 618, Caussin de Perceval, Essai., III. 212, Blau, in ZDMG., XXII, 664, XXIII, 573.
٦ الاشتقاق (ص ٣٢٢) .
٧ الطبري (٣/٣٢) .

على مقربة من تيماء مع يهود ، وظل في هذا الدين وفي هذه الديار الى ان امر (عمر) باجلائهم عنها في الاسلام .[1]

وقد وفد نفر من (بليّ) على الرسول ، وكان (شيخ الوفد) (ابو الضباب) (ابو الضبيب) فأسلم وأسلم من كان معه ، ثم عادوا الى ديارهم .[2]

وتقع الى الجنوب من ديار (بليّ) ديار (مزينة) ، وهي في الشرق من منازل (جُهينة) والى الغرب من ديار (سعد) والى الشمال من بلاد (خزاعة) . ويرجع نسب (مُزينة) الى (مضر) . وقد وفد قوم منهم الى الرسول فيهم (خزاعي بن عبد نهم) فبايع الرسول على قومه مزينة ، وقدم معه جماعة من اعيان مزينة منهم : (بلال بن الحارث) و (النعمان بن مقرن) و (عبيد الله ابن بردة) ، و (عبد الله بن درة) ، و (بشر بن المحتقر) . و (خزاعي) هو الذي حمل لواء مزينة يوم الفتح ، وكانوا يومئذ ألف رجل ، وهو أخو المغفل ابي عبد الله بن المغفل وأخو عبد الله ذي البجادين .[3]

وأما وادي القرى ، فهو وادٍ كثُرت قراه ، لذلك قيل له وادي القرى وأهله عرب ويهود . وهو من المواضع المعروفة بالخصب في جزيرة العرب ، وبه عيون وآبار .. لذلك اشتهر بالعمار منذ ايام ما قبل الميلاد . فنزلت به قبائل عديدة ، منها قوم ثمود . وقد جلب خصب هذا الوادي انظار من نزح اليه من اليهود ، فحفروا فيه الآبار وأساحوا العيون ، وزرعوا فيه النخيل والحبوب ، وعقدوا بينهم حلفاً وعقداً . ودفعوا عنه قبائل بليّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، وغيرهم من القبائل .[4] وعقدوا لهم احلافاً مع القبائل القوية ، لتحميهم ولتدافع عنهم ، مقابل جعل سنوي .

وقد غزا الرسول بعد فراغه من خيبر هذا الوادي ، فقاتله اهله ، ففتحه

---

١ Ency., I, P. 618.

٢ ابن سعد ، طبقات (١/ ٣٣٠) ، نهاية الأرب (١٨/ ٩٠) .

٣ طبقات ابن سعد (١/ ٢٩١ وما بعدها) ، (دار صادر) ، نهاية الأرب (١٨/ ١٩ وما بعدها) .

٤ البكري ، معجم (١١/ ٤٥ وما بعدها) .

عنوة ، وترك الرسول النخل والارض في ايدي اليهود ، وعاملهم على نحو ما عامل عليه اهل خيبر . [1]

وكانت (فدك) حكومة مستقلة كسائر الواحات والقرى في اعالي الحجاز ، اهلها من اليهود ، وعليهم في ايام الرسول (يوشع بن نون اليهودي) ، واليه بُعث (مُحيصة بن مسعود) لدعوته ولدعوة قومه الى الاسلام . [2] وبها قوم من (بني مُرّة) . [3] وقوم من (بني سعد بن بكر) . [4]

وكان اهل خيبر من يهود كذلك . يتحكم فيهم رؤساء منهم ، ولهم حصون وآطام تحمي اموالهم ومساكنهم ، فتحت في ايام الرسول بسبب معاداة اهلها للاسلام واتفاقهم مع المشركين . وكان يظاهرهم (غطفان) . ومن حصونهم (حصن ناعم) و (حصن القموص) ، حصن (ابي الحقيق) ، و (الوطيح) و (السلالم) ، وكان آخر حصون خيبر و (الشق) و (النطاة) . [5]

وكاتب الرسول (بني غاديا) ، وهم قوم من يهود . وكتب كتاب رسول الله اليهم : (خـــالد بن سعيد) . [6] وكتب (خالد) كتاباً آخر الى (بني عريض) وهم ايضاً قوم من يهود ، حدد لهم الرسول ما فرضه عليهم ، يؤدونه لحينه في كل عام . [7]

وكان يهود (بنو قينقاع) ، قد تحالفوا مع الأوس والخزرج ، تحالفوا مع (عبد الله بن ابي سلول) ، كما تحالفوا مع (عبادة بن الصامت) ، وكانوا صاغة ، ولهم سوق عرف بـ (سوق بني قينقاع) ، وكانوا أشجع يهود . فلما كانت وقعة (بدر) ، اظهروا ميلاً الى قريش ، فحاصرهم الرسول ، ثم غلبهم فأجلاهم عن ديارهم ولحقوا بأذرعات . [8]

١ البلدان (٢٧٥/٨) (وادي القرى) ، (٣٤٣/٥) (بيروت ١٩٥٧) ، تاريخ الخميس (٥٨/٢) ، البلاذرى ، فتوح (٤٧) .
٢ ابن الأثير (٩٣/٢) ، البلدان (٣٤٣/٦ وما بعدها) .
٣ الطبري (٣٢/٣) ، (ذكر مقاسم خيبر وأموالها) ، نهاية الأرب (٢٧٢/١٧) .
٤ نهاية الأرب (٢٠٩/١٧) .
٥ الطبري (٩/٣ وما بعدها) .
٦ ابن سعد ، طبقات (٢٧٩/١) .
٧ المصدر نفسه .
٨ نهابه الأرب (٦٧/٦٧) ، (ذكر غزوة بني قينقاع) .

ومن منازل (بني لحيان) موضع (غُرّان) ، وادٍ بين أمج وعُسفان الى بلدٍ يقال له (ساية) . وهو موضع مرتفع غزاه الرسول غزوته التي عرفت بـ (غزوة بني لحيان) في سنة ست للهجرة [1] . وكان بنو لحيان ومن لافهم من غيرهم قد استجمعوا ، فلما بلغهم إقبال الرسول اليهم هربوا ، فلم يلق كيداً [2] . واعتصموا في رؤوس الجبال ، فلم يقدر منهم على أحد . ولم تستطع السرايا ان تقبض على أحد منهم ، فرجع الرسول [3] .

وأقام (القُرطاء) ، وهم (بنو قرط) ، (قريط) من (بني كلاب) ، بناحية (ضرية) ، فبعث رسول الله عليهم (محمد بن مسلمة) ، فاستاقَ إبلاً وغنماً منهم ، وهرب القرطاء [4] . وقد أرسل الرسول (أبا بكر) لغزو (بني كلاب) بنجد ، وذلك سنة سبع للهجرة ، وذكر انه غزا (بني فزارة) [5] . وأرسل عليهم سنة تسع (الضَحّاك بن سفيان الكلابي) ، ومعه (الأصيد بن سلمة بن قرط) ، فلقيهم (بالزجّ) موضع بنجد ، وتغلب على (القرط) [6] .

ولما غزا الرسول غزوة (الأبواء) ، وهي غزوة (ودّان) ، وكانت أول غزوة غزاها الرسول ، وادعه (مخشي بن عمرو الضميري) ، وكان سيد (بني ضمير) (بني الضمير) في ذلك الوقت . والأبواء قرية من أعمال (الفرع) من المدينة ، بينها وبين (الجحفا) مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً [7] .

وتقع ديار (بني مدلج) بناحية (ينبع) ، ومن أرضهم (ذو العشيرة) ، وهو لبني مدلج . وقد غزاهم الرسول غزوته المعروفة بـ (ذي العشيرة) على رأس ستة عشر شهراً من مُهاجَره ، فوادعهم ووادع حلفاءهم من (بني سمرة) [8] .

---

١ الطبري (٢/٥٩٥) .
٢ البلاذري ، انساب (١/٣٤٨) .
٣ نهاية الأرب (١٧/٢٠٠ وما بعدها) .
٤ نهاية الأرب (١٧/٢٠٠) .
٥ نهاية الأرب (١٧/٢٧١) .
٦ نهاية الأرب (١٧/٣٥٠ وما بعدها) .
٧ نهاية الأرب (١٧/٤) .
٨ نهاية الأرب (١٧/٦) .

ويظهر ان هذا الموضع إنمـا سمي بـ (ذي العشيرة) ، نسبة الى الصنم (ذو العشيرة) ، كان له معبد في هذا المكان ، فعرف به .

ومن القبائل التي أقامت على مقربة من مكة (خزاعة) ، ومن رجالهم عند ظهور الإسلام ، (عمرو بن الحمق) الكاهن ، صحب النبي وشهد المشاهد مع (عليّ) وقتله (معاوية) بالجزيرة . وكان رأسه أول رأس نصب في الاسلام [1] . و (عمرو بن سالم الخزاعي) ، الذي جاء الى الرسول يشكو تظاهر (بنو بكر ابن عبد مناة بن كنانة) وقريش على خزاعـة ، ونكث قريش عهدهم الذي قطعوه للرسول ألا يظاهروا أحداً على خزاعة ، فكان ذلك من عوامل فتح مكة [2] .

ومن رجال خزاعة (بديل بن ورقاء بن عبد العُزّى) ، شريف كتب اليه النبي يدعوه الى الاسلام ، وكان له قدر في الجاهلية بمكة [3] . ومن بطون خزاعة (بنو المصطلق) ، وعرفـوا بـ (بلمصطلق) أيضاً ، وقـد كانوا ينزلون بـ (المريسيع) ، وهو ماء لهم ، من ناحية (قُديد) الى الساحل . وقد كان قائدهم وسيّدهم (الحارث بن أبي ضرار) ، أبو (جويرية) ، التي تزوجها النبيّ بعد ان خرج اليهم في غزوة (بني المصطلق) من سنة ست . وهم من (خزاعة) [4] . وكان (الحارث) قد سار في قومه ومن قدر عليه من العرب، ودعاهم الى حرب الرسول . فلما وصـل الرسول الى (المريسيع) ، تفرق من كان مع الحارث من العرب . وتغلب الرسول على (بني المصطلق) وأخذ منهم أسرى وغنائم ، وكانت (جويريـة) في جملة من وقع في الأسر فتزوّجهـا الرسول . ومن بطون خزاعة (بنو الملوّح) ، وكانوا بـ (الكديد) [5] .

وكان في جمله من يقيم بتهامة (بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة) ، ومن مياههم (الغميصاء) [6] . ولما توفي الرسول تجمعت بتهامة جموع من مدلج ،

١ الاشتقاق (٢٧٩) .
٢ الطبري (٣/٤٢) ، الاشتقاق (٢٨٠) ، البلاذري ، أنساب (١/٣٥٣) .
٣ الاشتقاق (٢٨٠) .
٤ الطبري (٢/٦٠٤) ، (دار المعارف) ، ارشاد الساري (٦/٣٣٦) .
٥ الطبري (٣/٢٧ وما بعدها) ، الاشتقاق (٢٨٠ وما بعدها) .
٦ الطبري (٣/٦٦ وما بعدها) .

تأشب اليهم شذاذ من خزاعة وأفناء من كنانة ، عليهم جندب بن سلمي ، أحد (بني شنوق) ، من بني مدلج ، فحاربهم (خالد بن أسيد) وشتّت شملهم ، وأفلت جندب ، ثم ندم على ما صنع [1] .

وكتب الرسول لقوم من (أهل تهامة) : بديل وبسر وسَرَوات بني عمرو ، ذكر فيه انه لم يأثم مالهم ، ولم يضع في جنبهم ، ثم قال لهم : (وان أكرم أهل تهامة عليّ وأقربهم رحماً مني أنتم ومن تبعكم من المطيبين) . ثم أخبرهم ان (علقمة بن علاثة) قد أسلم . وأسلم (ابنا هوذة وهاجرا وبايعا على من تبعهم من عكرمة) [2] .

وينقل (ابن سعد) صورة كتاب كتبه (أبيّ بن كعب) وجهه (لجماع كانوا في جبل تهامة قد غصبوا المارة من كنانة ومزينة والحكم والقارة ومن اتبعهم من العبيد) ، فلما ظهر رسول الله ، وقوي أمره ، وفد منهم وفد على النبي ، فكتب لهم كتاباً جاء فيه : (هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لعباد الله العتقاء . انهم إن آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فعبدهم حرّ ومولاهم محمد . ومن كان منهم من قبيلة لم يرد اليها . وما كان فيهم من دم أصابوه أو مال أخذوه ، فهو لهم . وما كان لهم من دين في الناس رد اليهم ، ولا ظلم عليهم ولا عدوان) [3] .

ويظهر من مضمون هذا الكتاب . ومن بيان أهل الأخبار عن الذين كانوا قد اعتصموا في جبل تهامة ، انهم كانوا من الخارجين على الأعراف ، ومن الرقيق الآبق ، تجمعوا في هذا المكان المرتفع وتحصنوا وأخذوا يغتصبون منه المارة . وبقوا على ذلك حتى ظهر الرسول على أعدائه ، فوجدوا إذ ذاك انهم لن يتمكنوا بعد ظهور الرسول من الاستمرار في التحرش بالمارة والتحرز بهذا الجبل ، وان ظروفاً جديدة قد ظهرت ، ستؤمن لهم سبل العيش ، وان الرسول سيعفو عنهم

١ الطبري (٣/٦٧ وما بعدها) .
٢ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٢) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٨) .

ويغفر لهم ما وقع منهم قبل الإسلام ، فجاؤوا اليه وأسلموا عنده . وكتب لهم كتاب أمان بذلك .

ومنازل (كنانة) بتهامة ، وهم فيها قبل الإسلام بأمدٍ طويل .

و (علقمة بن علاثة) : هو (علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب)[1] . وهو الذي نافر (عامر بن الطفيل) عند (هرم بن قطبة بن سنان)[2] .

وأما (ابنا هوذة) فهما : العدّاء وعمرو ابنا خالد بن هوذة من بني عمرو ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة[3] .

وأما (عكرمة) ، فعكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وذكر ان مراد الرسول بـ (ومن تبعكم من المطيبين) ، (بنو هاشم) وبنو زهرة ، وبنو الحارث بن فهر ، وتيم بن مرة ، وأسد بن عبد العزّى[4] .

وكتب الرسول الى (العدّاء بن خالد بن هوذة) ، ومن تبعه من (عامر ابن عكرمة) ، انه (أعطاهم ما بين المصباعة الى الزّح ولوابة) . يعني لوابة الحرّار . وكتب لهم الكتاب : خالد بن سعيد[5] .

ومن منازل (هذيل) (الرجيع) ، وهو ماء لهم[6] . ويقع الى الشرق من (هذيل) ديار (ضَبّة) وديار (عبد مناة) ، وأما في جنوبها فتقع ديار (خثعم) وثقيف ، وتمتد ديارها في الشمال حتّى تتصل بديار (بني سُليم) ، ومن (هذيل) (سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي) ، وكان قد جمع جمعاً ليغزو به الرسول ، وكان قد نزل (نخلة) أو (عرنة) ، موضع بقرب عرفة ، أو قرية بوادي عرفة ، فأرسل رسول الله اليه (عبد الله بن أنيس)

١ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٢) .
٢ المحبر (١٣٥) .
٣ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣) .
٤ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣) .
٥ ابن سعد ، طبقات (١/٢٧٣) .
٦ البلاذري ، أنساب (١/٣٧٥) .

فقتله[1] . ومن القبائل المجاورة لهذيل : (فهم) و (عدوان) وكانت ديارهم بالسراة[2] .

وممن كتب اليهم الرسول ، ودوّن (ابن سعد) صور كتبه اليهم : (سعيد ابن سفيان الرعلي) ، وقد أعطاه الرسول (نخل السوارقية وقصرها ، لا يحاقه فيها أحد) . وكتب الكتاب وشهد عليه (خالد بن سعيد)[3] . و (عتبة بن فرقد) ، وقد أعطاه الرسول موضع دار بمكة ، يبنيها مما يلي المروة[4] .

على هذا النحوا كان الوضع السياسي في جزيرة العرب عند ظهور الإسلام وفي أوائل أيامه : قوى مستقلة تخشى القبائل المحيطة بها . وأذواء وأقيال في اليمن وحضرموت ورؤساء قبائل يتحكمون في مناطق نفوذ قبائلهم ، ويعيشون على ما يأخذونه من أتباعهم من حق الرئيس على المرؤوس في السلم وفي الحرب ، وهم فيما بينهم في خصام وتنافس ، لم تتركهم الخصومة من الانصراف الى شؤون رعيتهم ، وهم أنفسهم لم يفكروا في الانصراف الى ذلك . فتدهورت الأحوال ، وظهر أفراد ينادون باصلاح الحال ، وبالتفكير في تحسين الأوضاع وبالتعقل . وكان الصراع بين الفرس والروم ، قد جسّر الأعراب على الدولتين . وأخذت النصرانية ترسل المبشرين الى العرب ، لنشر النصرانية بينهم . وتغلب القلم المتصل الحروف ، الذي صار قلم العرب والإسلام على القلم المنفصل الحروف . قلم العرب القديم ، القلم المسند . وانتشر في مكة ويثرب . ونادى الأحناف بنبذ الوثنية والأوثان . ونزل الوحي على الرسول في أول العشر الثاني من القرن السابع للميلاد . وظهر الإسلام داعياً العرب وغيرهم الى الإيمان بإله واحد خالق لهذا الكون . وبرسالة رسوله وبما جاء به من أوامر وأحكام . فكان ظهوره نهاية للجاهلية ، وبداية لعهد جديد ، عهد الإسلام .

وبظهور الإسلام على أعدائه في جزيرة العرب ، وبقضائه على أهل الردة ، أوجد لجزيرة العرب وجهاً جديداً من وجوه الحياة ، لم تشهده في حياتها ولم

---

١ نهاية الأرب (١٢٨/١٧ وما بعدها) .
٢ البكري ، معجم (٨٨/١) .
٣ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .
٤ ابن سعد ، طبقات (٢٨٥/١) .

تعرفه . فقد أوجد الإسلام لأهلها موارد غنية من موارد الرزق ، وبسط لهـــم الأرض من الصين الى المحيط (الاطلانطي) وأخرج سكانها من ديارهم الفقيرة وأنزلهم في ديار غنية كثيرة السكان . وعرفوا بذلك نظماً لم تكن مألوفة عندهم ، وأمماً لم يسمع أكثرهم بها ، وخرج المؤمنون الأولون والمؤلفة قلوبهم ومن دخـل الإسلام وقلبه غير مطمئن به ، الى خارج جزيرة العرب يحكمون باسم الإسلام . حدث كل ذلك في مدة لا تعدّ طويلة بالنسبة الى ما وقع فيها من أحداث .

فالإسلام ، إذنْ نهاية حياة قديمة ، وبداية حياة جديدة ، تختلف عن الحياة الأولى كل الاختلاف .